الصفات المهمة لقيادة الأمة

جمعهُ ورتبه
الشيخ/ إسماعيل بن عبد الرحيم حميد
"أبو حفص المقدسي"

مؤسسة الراية للإنتاج الإعلامي

مؤسسة الراية للإنتاج الإعلامي تقدم

كتاب

الصفات المهمة لقيادة الأمة

جمعه ورتبه
الشيخ/ إسماعيل بن عبد الرحيم حميد
"أبو حفص المقدسي"

اهداء

اهدي هذا الكتاب لأمة الإسلام المتطلعة للخلاص من براثن الاحتلال وظلم الحكم الجبري الذي أبعدها عن شريعة رب العالمين

إلى أبي وأمي رحمهما الله وأسكنهما الفردوس الأعلى ..

إلى الأسرى الذين امضوا زهرة شبابهم في سجون الطواغيت ..

إلى المجاهدين والمرابطين على ثغور الدعوة والقتال في سبيل الله عموماً .. والمرابطين في المسجد الأقصى الأسير خصوصا

إلى مشايخ وعلماء الجهاد تاج الوقار وملح البلاد .. إلى إخواني في جيش الأمة الذين صبروا على الأذى وتحملوا جور الأباعد والأقارب

إلى زوجتي التي صبرت وتحملت معي عناء ومشقة السجن والسفر والعلاج .. إلى أبنائي وبناتي وإخواني وأخواتي وأهلي وعمومتي

إلى آباء وأمهات وزوجات وأبناء الشهداء والجرحى والثكالى في الأمة الجريحة

إلى كل من له حق علي

****

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ناصر المستضعفين، مُعز الموحدين، وقاهر الكفار والمُنافقين، والصلاة والسلام على إمام الموحدين وقائد المجاهدين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

إن أصدقَ الكلام كتاب الله وخير الهَدي هدي النبي المصطفى ﷺ. أما بعد ..

فإن الله تعالى قد بعث الأنبياء والرُسل لإخراج أقوامهم من الظُلُمَاتِ إلى النور، ظلمات الباطل والظُلم والجورِ إلى نور العدل والإحسان ومكارم الأخلاق والقِيَم المجتمعية الحسنة، وكما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه: نحن قومٌ قد ابتعثنا الله لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جَورِ الأديان إلى عَدلِ الإسلام ومن ضيق الدُنيا إلى سِعة الدنيا والآخرة (ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وقد تُكُلِّمَ في سنده)، إنها كلمات قليلة لكن معانيها عظيمة؛ فقد ذكر رضي الله عنه الوظيفة التي قلَّدَ الله تعالى بها الأمة الخاتمة، والطريق الذي رسمهُ لها "إخراجُ الناس من الظلمات إلى النور"، فما بالنا نرى أقوامًا من أمتنا خرجوا عن ذلك الطريق فزاغوا وأزاغوا، وغشوا وظلموا وبطشوا.

لقد ابتعث الله نبيه محمدا ﷺ في حقبةٍ شهدت ظُلمًا وزيغًا وشركًا لم يشهد العالم مثله، ولن يشهد، فجاء ﷺ برسالة الإسلام ونور التوحيد والهداية ليُرسي قواعد المحبة الإيمانية، فَعدَّلَ المفاهيم الخاطئة جميعها ونقل المجتمع من الضلال والغي والبغي والجاهلية إلى العدل والإحسان والمساواة، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، فأصبح ذاك هو الفضل الذي يتنافس عليه الخلق، التقوى والقرب من الله تعالى وتطبيق تعاليم دينه الحنيف.

لقد ربى النبي ﷺ بذلك صحابته تربية لها من الكمال أتمه، من النواحي جميعها، ومنها الناحية القيادية، فلم يعهد التاريخ قادة ولا ساسة كمثلهم، كيف لا وقد تربوا على يدي أعظم الخلق سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم.

كانت سياسة النبي ﷺ سياسة فريدة بمعنى الكلمة، ومن أنا لأشيد بسياسته! لقد استطاع عليه السلام بناء سياسة الدولة داخليًّا على نحوٍ يعجز البشر عن وصفه، فأنهى في فترة وجيزة جميع الخلافات الداخلية، وجعل مجتمعه مثاليًّا متحضرًا يتصف بأعلى درجات الكمال المجتمعي. وكذا كانت سياسته الخارجية؛ فقد عقد تحالفات مع بعض، وهادن بعضًا، بحسب ما يريه الله تعالى، وكان يختار رُسُلَهُ للملوك والقياصرة بعناية، فاختار عمرو بن العاص رضي الله عنه رسولًا لملك عمان، واختار حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه رسولًا للمقوقس ملك مصر. واتخذ لنفسه خاتمًا ليُسايرَ ما كانت عليه مُلوك عصره

ﷺ، وكان عليه السلام إذا خرج من المدينة ولى عليها أحد أصحابه لإدارة شؤونها، فمرة اختار عليًّا، ومرة عثمان رضي الله عنهما،
وكان ﷺ يُؤمِّرُ على السرايا والجيوش القائد المناسب تَبعًا لنسب القوم، والبلد المنوي فتحه، وتبعًا لعلمه بمواهب أصحابه، فمرة ولى أبا بكر وأخرى عليًّا ـــ وأخرى
عمرًا بن العاص، وخالدًا بن الوليد، وأبا عبيدة بن الجراح، وأسامة بن زيد–مع صغر سنه– رضي الله عنهم جميعاً.

كان يُنَمي عليه السلام في أصحابه ما وُهِبُوهُ من صفات مَيّزهم عن غيرهم، ويُلَقِبُ كلًّا منهم بحسب ذلك، ثم يُكلفهم بمهمات تُرسِخُ ثقتهم بتلك الميزات والقدرات!

نعم، إنها تربية لم يعهدها العالم من قبل ولن يعهدها من بعد، جعلت قرن رسول الله ﷺ أفضل القرون على الإطلاق، فمهما امتدحتُ ذلك القرن ووصفته وبينتُ فضائله فلن أوفيه.

إن التربية القيادية للمسلمين على نحو تربية رسول الله ﷺ لأصحابه اليوم لأمر ضروريّ جدا، ولا سيما بعد أن فقدنا القائد القدوة في زمنٍ أصبحت الفتن فيه تتلاطم كتلاطم الأمواج؛ إن الأمة بحاجة لمن ينتشلها من ذلك التفرق، والتشرذم، والتباغض، والتناحر، والإضلال، والغزو الفكري، والظلم، الذي طال أبناءها بعد سقوط الخلافة وتقسيم البلاد إلى دويلات على يد سايكس وبيكو (بريطانيا–فرنسا)، هي أحوج ما تكون إلى قيادة حكيمة، عالمة بالقرآن والسنة، تعي تمامًا الواقع الذي وصلت إليه أمتها، تأخذ بحسبانها تداعي الأمم عليها كما بين النبي صلى الله عليه وسلم، قال ﷺ: "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها " ، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: " بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن" ، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت". (رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني).

ويجب أن تسعى هذه القيادة لجمع الأمة بكافة مكوناتها وأحزابها وبلدانها من خلال خطاب سياسي واضح، وبرامج تنموية يقوم عليها خبراء الأمة، ومن خلال إنشاء مراكز دراسات مختصة، وجمع ما أمكن من علماء، ومفكرين، وقيادات سياسية وجهادية، ومرجعيات صادقة أمينة تتخذ من كتاب الله وسنة رسوله دستوراً ترجع إليه في كافة أمور الحياة وترجع إلى فهم سلف الأمة في الأمور التي قد تَشْكل على البعض، لوضع مشروع متكامل الأركان يهدف إلى إعادة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة وإعادة (إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلّهِ).

القيادة التربوية في الإسلام

إن القيادة التربوية في الإسلام ليست وظيفة من الوظائف ولا ولاية من الولايات، بل هي أسلوب للحياة، ومنهج للتطبيق، هدفها في النهاية تحقيق الخلافة وإرضاء الله تعالى، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، وهذا يجعل الاختلاف واضحاً بين هذا المفهوم وبين مفهوم القيادة في الغرب، لأن ثمة فرق بين من يعمل للدنيا والآخرة وبين من يعمل للدنيا فقط، ومن هنا تختلف التعريفات وفقاً للفلسفة التي يؤمن بها صاحب التعريف، ووفقاً لمجموعة من العوامل المتغيرة كالبيئة والعوامل السياسية والعسكرية والاجتماعية والفكرية والثقافية والأهداف المراد تحقيقها.

إن قيادة الأمة كالروح في الجسد فهي من تحرك الجسد وتُشعره بالراحة والطمأنينة، فهي –القيادة–من تتألم أكثر من الأعضاء وهي من تشعر الأعضاء بالفرح والسرور، فقيادة الأمة هي الموُجه الرئيس لجسدها فهي من تهديه للابتعاد عن المخاطر وتحافظ على الجسد إلى أكبر قدر ممكن لتستمر حياة الأمة إلى أفضل ما يكون يقول ﷺ: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى". (رواه البخاري في صحيحه).

إن الأمة بحاجة إلى قيادة حكيمة في سياساتها الداخلية والخارجية تُقدر الأمور وتضعها في مواضعها لتعيد لأبنائها الثقة بالمشروع الإسلامي الذي بات رُعبًا لكثيرٍ منهم بفعل الجاهلين، هي تنتظر من يُعيدُ لها مجدها المسلوب من قِبَلِ أعدائها ومن خانها من حُكوماتِ الطواغيت التي حكمتها لأكثر من قرن، بحاجة إلى من يَصبرُ عليها، ويرفقُ بها، يُعاملها باللين والمحبة، يكون رحيمًا بها، شديدًا على أعدائها: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾ الفتح:29، يحترم عقول المسلمين ويقدرها ولا يستخف بها ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران:159

إن الرفق مع جميع الناس خلق إسلامي رفيع لا يتصف به إلا من خامر الإيمان بشاشة قلبه وتمكن من فكره وجوارحه، وأيقن أن في الرفق سعادة وزيادة وسيادة، وكم هي الأمة اليوم تحتاج لمن يرفق بها ويُساعدها للنهوض من جديد، عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حُسْنُ الْخُلُقِ) رواه أحمد في مسنده، والترمذي وقال الألباني صحيح، واللفظ لأحمد

رَغَّبَ الإسلام في الرفق ونَدبنا إليه وحثنا عليه، وبين لنا أن عطاءه ونتاجه يفرض علي الإنسان إذا كان–بالفعل–محباً للخير مقبلاً عليه، أن يتوخاه ويعكف علي تحريه في جميع أموره، وكافة شؤونه. فالرفق زينة الأعمال وبهاؤها، كما هو سر من أسرار جودها، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيَرْضَاهُ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَالاَ يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ". رواه مسلم.

وقد كتبت من قبل كتابا عن صفات القائد المسلم وفي هذا الكتاب أزيد على هذه الصفات صفتين مهمتين: وهما (الشجاعة والشورى) وهذا ما رأى العبد الفقير أن كل ذلك يجتمع في تسع صفات لا بد من توفرها في ذلك القائد المنقذ –إن صحت التسمية–، وهي كالآتي: العلم –الحلم–الحكمة –الحزم –الجود –الخطابة –الشجاعة –ا لشورى–الصدق.

وإن كانت هناك صفات أخرى كثيرة، ولكني أرى أن هذه هي أهمها. وسوف نستعرض في سياق هذا الكتاب إن شاء الله ﷻ مزيداً من التفصيل بخصوصها.

﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾ طه:114

العلم لغة: المعرفة، يقال عَلِم الشيء يعلمه عِلْماً أي عرفه.

أما اصطلاحًا: فهو إدراك الشيء على ما هو به، وقيل: زوال الخفاء من المعلوم، والجهل نقيضه، وقيل: هو مستغنٍ عن التعريف، وقيل: العلم: صفة راسخة تدرك بها الكليات والجزئيات.

ونبدأ بالعلم الذي بدأ به الله تعالى مع نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) عندما قال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق:1

وفيه قول الله تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ محمد:19

قال الحسن بن الفضل: فازدد علما على علمك.

لقد كان بداية الوحي المنزل: العلم، وهو نور يهدي الله تعالى به عباده، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، لتستقيم حياتهم كما يرضى، وكلما ازداد المرء علماً ازدادَ ثقة بربه ونفسه وبعدالة دعوته وأحقيتها، وازداد إصراراً على المُضي قُدُمًا لإنفاذ تلك الدعوة حتى تصل أكبر عددٍ ممكن من عباد الله.

إن العلم من أهم الصفات المطلوب توافرها في القائد المسلم إن لم يكن أهمها على الإطلاق، وهو مُرتبطٌ بالصفات الأخرى، فمنها ما لا تكون إلا بوجوده؛ فالحِلم يجب أن يُحَدَّ بحدود العلم، وكذا الحَزم، والشجاعة، كما إن كلًّا من الصفات الأخرى مرتبط به بشكلٍ أو بآخر؛ فهو المبتدأ وأساس الصفات، لا غنى للقائد عنه طرفة عين؛ فعليه أن يتلقى منه ما حتم عليه المقام الذي أقامه تعالى فيه وكلفه به ابتداءً من الأصول التي يُبنى عليها الحُكم في الإسلام –ويؤخذ هذا من القرآن والأحاديث الصحيحة– وانتهاءً بدراسة السيرة الصحيحة من مظانِّها، والوقوف على فعل رسول الله ﷺ أو الصحابة رضي الله عنهم مع الحوادث، وتَدبُرِ ذلك، ثم قياس ما قد يحصُل في أيامنا من حوادث مشابهة على ذلك، ولكن، مهلًا.. فإن الأمر أوسع من هذا، ولا ينبغي أن يقتصر على ذلك؛ فإنه قد تحدث أمورًا في زمننا لو روجِع موقف الرسول عليه السلام أو الصحابة حيال أمثالها في السيرة لوُجِد أن غيره أفضل في زمننا؛ وللتوضيح: فإنه قد يَستدِل قومٌ على اتخاذ الشدة في حادثةٍ ما مشابهة لحادثةٍ كان رسول الله ﷺ قد استعمل حيالها الشدة، ولكن لم ينتبه أولئك إلى التوقيت؛ فإن رسول الله ﷺ لم يشرع في استخدام تلك الشدة إلا بعد هجرته إلى المدينة، وأما وهو في مكة فإن الصفح والصبر كان ديدنه بل كان يأمر أصحابه به، وحُكم ذلك أوكد في أيامنا هذه، فإنه لا يخفى أنَّ الحكم اليوم والغلبة لغير المسلمين، وهو ما يُشبِهُ إلى حدٍّ ما ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في مكة، فلم يكن عليه السلام آنذاك يستعمل العنف في تغيير المنكر، فلم يَثبُت أنه قَتَلَ كافرًا في غير المعارك أو عَذَّبه –حسب ما أعلم–، ولكن كان يدعو إلى الله ويصفح، وذلك أنه ﷺ –إضافةً إلى ضَعفِ المسلمين– كانت وظيفته في هذه المدة تبليغ دين ربه ليكون الكفار على بينة تامة منه، حتى لا تختلط عليهم الأمور حين يرون منه ما لا يسرهم أي بسبب عنادهم وظلمهم، وهكذا نحن! فكثيرٌ من غير المسلمين في زماننا –سواءٌ من الغرب، أو ممن هم بين أظهرنا من النصارى– وحتى من المسلمين، من ليس لهم علمٌ بهذا الدين، وقد يتفاوتون في الجهل به بتفاوت بُعدهم عن مظاهر الإسلام الصحيح، لذلك وَجَبَ أن يُتَدَرَّج لتغيير المنكر من اللين إلى العنف –إن استوجب–، كما يجب إظهار هذا اللين على مسامع جميع الخلق ومرائيهم كما كان قد علم القاصي والداني –من القبائل– بصفح رسول الله ﷺ وعفوه عن المشركين أيام كان يدعو الناس في مكة، وعكس هذا سبيلٌ إلى تشويه هذا الدين، وقد حَصَل، فاتُّهِمَ بالإرهاب والغلظة حتى لا يكاد يُذكَر إلا وقد قفزت هذه الصورة إلى الأذهان وما ذاك إلا بسبب "الجهل" الذي قاد بعض الأقوام – الذين أعطوا لأنفسهم الحق في قيادة الأمة!– إلى ارتكاب ما يُنَفِرُ الناس عن دين الله وإقامة شرعه. فهذا مما لابد أن يؤخذ بنظر الاعتبار، فإن رسول الله ﷺ لم يشرع في إقامة الحدود وقتل المستحقين للقتل إلا بعد أن أصبح الكفار وغيرهم على بيِّنَةٍ تامَّة من هذا الدين؛ حين علموا أن لينه ﷺ يسبق شدته، وأن الرحمة والعفو أحبُّ إليه ﷺ من

الغلظة، مما لم يبقِ لهم حجة ولو صغيرة حين استخدم ﷺ الشدة معهم وهو في المدينة، وهذا ما لم يبنه ﷺ في ليلةٍ وضحاها، قال السرخسي (رحمه الله): (أَنْ الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ وَبِالْقِتَالِ نَزَلَ مُرَتَّبًا. فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَأْمُورًا فِي الِابْتِدَاءِ بِتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْ الْمُشْرِكِينَ ...ثُمَّ أَمَرَ بِالْمُجَادَلَةِ بِالْأَحْسَنِ ... ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ ... ثُمَّ أُمِرُوا بِالْقِتَالِ إنْ كَانَتْ الْبِدَايَةُ مِنْهُمْ ... ثُمَّ أُمِرُوا بِالْقِتَالِ بِشَرْطِ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ ... ثُمَّ أُمِرُوا بِالْقِتَالِ مُطْلَقًا). وقد أطَلْتُ النَفَسَ في هذا الأمر لما قد علمتم مما يحصل في بلادنا من تصرفات تُحسَب على الإسلام وهو منها براء، لذلك فإنه كان فرضًا على القائد المسلم أن يكون ساعيًا في طلب العلم أبدًا، وأن يستشير العلماء الثقات المهديين الصادقين في أمور الدولة ليرقى بالأمة ويخرجها من نفق التيه والضياع الى نور الحق المبين، وعليه أن يكون بعد ذلك صاحب حُجة، يستطيع إقامة الدليل على خصومه من أهل الباطل. كما إنه يجب أن يحثَ رعيته على طلب العلم ويفتح لذلك المراكز العلمية والجامعات ...الخ، ويقوم بتَكَفُلِ طلبة العلم وصرف رواتب لهم تعينهم في حياتهم اليومية، وعليه أن يُقَدرَ للعلماء فضلهم، ويخصص عطاءً للموهوبين منهم، ويستقطب العلماء من الخارج ليشيع العلم بكل ذلك ويزدهر وترتقي بلاد المسلمين.

لقد حث الله ﷻ ورسوله ﷺ المسلمين على طلب العلم ومتابعة العلماء، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:122]، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "مَنْ سَلَكَ طَريقا يَبتَغي فيه عِلماً سَهل اللّهُ له طَريقا إلى الجَنّة وإنّ الملائكَةَ لَتَضعُ أجنحَتَها لطالبِ العِلمِ وإنّ العالمَ لَيستَغفر لَهُ مَن في السَماوات وَمَن في الأرضِ حَتّى الحيتانُ في الماء. وَفَضلُ العالمِ على العابِدِ كَفَضلِ القَمَرِ على سائر الكواكِب، إنّ العُلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، إنّ الأنبياءَ لَم يُورّثوا دينارا ولا دِرهَما، إنّما ورّثوا العِلمَ فَمَن أخَذَ بِهِ أخَذَ بِحَظٍّ وافِر". (رواه أبو داود والترمذي واللفظ له).

وروى معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" [رواه البخاري ومسلم] قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهذا يدل على أن من لم يفقهه في دينه لم يرد به خيراً كما أن من أراد به خيراً فقهه في دينه، ومن فقهه في دينه فقد أراد به خيراً إذا أريد بالفقه العلم المستلزم للعمل، وأما إن أريد به مجرد العلم فلا يدل على أن من فَقهَ في الدين فقد أريد به خيراً فإن الفقهَ حينئذ يكون شرطاً لإرادة الخير وعلى الأول يكون موجباً والله أعلم. وقال ابن بطال رحمه الله: فيه دليل على فضل العلماء على سائر الناس، وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما يثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله والتزام طاعته وتجنّب معاصيه، فبالعلم تصح العبادات وتصلح، وبدونه تنقص بحسب الحال حتى إنها قد تنقلب معصية، وبالعلم ترتقي الأمم وبدونه تردى. وإن قادة الأمة أولى الناس بطلب ذلك العلم، وهو ما بيّنَهُ النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر". (سبق تخريجه).

إن طلب العلم لا يقتصر على الشرعي منه بل يعم كافة المجالات التقنية والتكنولوجية والعسكرية وغيرها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "طلب العلم فريضة على كل مسلم". أخرجه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع، قال الإمام البيهقي رحمه الله: أراد – والله تعالى أعلم – العلم الذي لا يسع العاقل البالغ جهله، أو علم ما يطرأ له خاصة فيسأل عنه حتى يعلمه، أو أراد أنه فريضة على كل مسلم حتى يقوم به من فيه كفاية.

وجاء عن فضل العلم والعلماء أنه ذُكِر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال رسول الله ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير". ، قال الإمام ابن القيم (رحمه الله): لما كان تعليمه للناس الخير سبباً لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سبباً لنجاته وسعادته وفلاحه وأيضاً فإن معلم الناس الخير لما كان مُظهِراً لدين الرب وأحكامه ومُعرِفاً لهم بأسمائه وصفاته جعل الله من صلاته وصلاة أهل سماواته وأرضه عليه ما يكون تنويهاً به وتشريفاً له وإظهاراً للثناء عليه بين أهل السماء والأرض. وقال الإمام بدر الدين بن جماعة (رحمه الله): واعلم أنه لا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له وتضع له أجنحتها وإنه لينافس في دعاء الرجل الصالح أو من يظن صلاحه فكيف بدعاء الملائكة وقد اختلف في معنى وضع أجنحتها فقيل التواضع له وقيل النزول عنده والحضور معه وقيل التوقير والتعظيم له وقيل معناه تحمله عليها فتعينه على بلوغ مقاصده، وأما إلهام الحيوانات بالاستغفار لهم فقيل؛ لأنها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم والعلماء هم الذين يبينون ما يَحلُ منها وما يحرُم ويوصون بالإحسان إليها ونفى الضرر عنها.

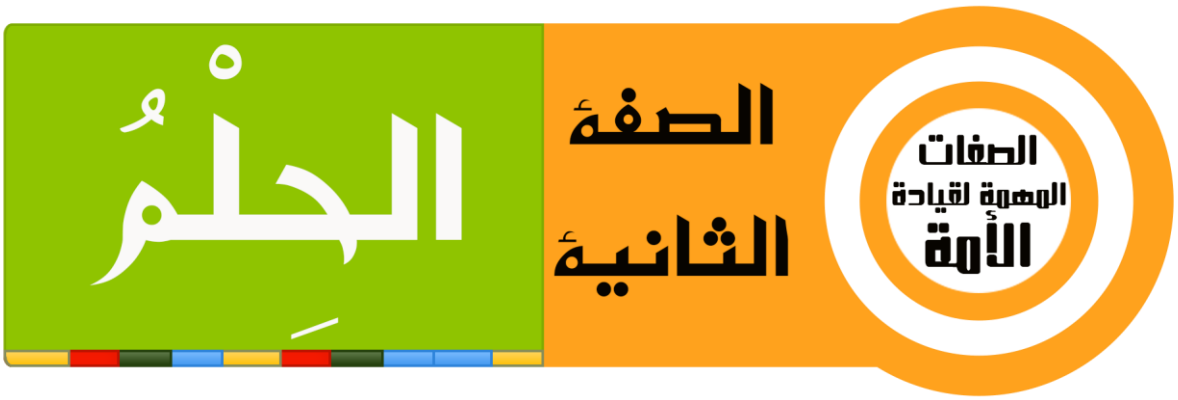

"رب اغفر لقومي إنهم لا يعلمون". رواه البخاري ومسلم

الحِلْمُ لغةً: الأناة وقد حَلُم بالضم حِلْما وتَحَلّم تكلف الحلم وتَحَالَمَ أرى من نفسه ذلك وليس به، أما اصطلاحًا: فهو أن تعفو عمَّن ظلمك وأن تدفع السَّيئة بالحسنة، وقيل انه الطمأنينة عند سَوْرة الغضب.

وهذه لا تقل أهمية عن الأولى، لا بد أن يتصف بها القائد المسلم؛ فيغلب حلمه غضبه ولينه شدته وعفوه عقابه. وتتضح لنا تلك الأهمية إذا تدبرنا الآثار المترتبة على الاتصاف بهذه الصفة، فهي:

1. تحبب الرعية في الراعي، وأما ما قد يُظَنّ من كونها تنقص من هيبته ووقاره فخطأ؛ فقد كان رسول الله ﷺ أكثر الناس حلمًا ورأفةً بقومه على ما لاقاه منهم من أذى وغلظة؛ سئل ﷺ هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يوم أحد؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيت منهم يوم العَقَبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد يَا لِيلَ بن عبد كُلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت. وأنا مهموم على وجهي، فلم أَسْتَفق إلَّا وأنا بِقَرْن الثَّعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومك لك، وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني مَلَك الجبال فسلَّم عليَّ، ثمَّ قال: يا محمَّد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أُطبق عليهم الأخشبين. فقال النَّبي ﷺ: بل أرجو أن يُخْرِج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا. رواه البخاري

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ" رواه البخاري ومسلم. إن على القائد أن يحرص كل الحرص على الاتصاف بذلك الخلق مع رعيته ويجعل في اعتباره المعاناة والضغوط التي يلاقونها من جراء ضنك الحياة والتي قد تُخرج منهم سيء التصرفات والأخلاق.

2. تعطيهم الجرأة لتقويم أخطائه إن أخطأ ولا يخفى ما لهذا من دور في تجميع طاقات الأمة وما ذلك إلا لنمو الشعور بمسؤولية كل مسلم تجاه أمته وبانتمائه لها حين أعطى ذلك القائد بحلمه المجال لتلك النفوس للمشاركة في تحديد مستقبل الأمة وهذا بعكس لو اتصف القائد بضد ذلك فإنه يزرع في نفوس الرعية النفرة والخوف مما يؤدي إلى تهميش دورهم فيما بينت وهو ما يثمر سلبيات كثيرة تنتهي بالتمرد.

لقد عهدنا من حكام الأمة في القرن الماضي بطشًا وقسوة مع شعوبهم بمظاهر متعددة لا تخفى على أي مسلم، تحت ذريعة إبقاء الأمة تحت السيطرة، ولم يعلم هؤلاء أن ذلك البطش سيعجل ما يخشونه.

3. من أعظم الأسباب لدخول الناس في دين الله أفواجا، ولذلك فإن الله ﷻ ما بعث نبياً إلا ورعى الغنم؛ لأن الغنم لا تسير بشكل منتظم بل يقودها هواها، وهو ما يُعطي الراعي مزيدًا من الحُلم على ما يجده من مشقة في ذلك، وقال ﷺ: "إن شر الرعاء الحطمة فإياك أن تكون منهم" رواه مسلم، وذلك أن بعض الرعاء لا يملكون ذلك الحلم، فتجد الراعي كلما زاغت إحدى أغنامه أو ضاعت وابتعدت رفعها وألقاها على الأرض بقوة، فلو قام كل الرعاة بمثل فعله لقُتلت الأغنام جميعها في فترة وجيزة، وهذا مثال من يرعى قطيعًا من الأغنام، فما بالنا بمن يرعى ملايين من البشر! نجد لكل أحدٍ منهم فكرًا وهوىً لاسيما في وقتنا الذي يشهد تعددًا في الأفكار والمناهج... الخ فلا بُدَ لذلك الراعي أن يمتلك من الحلم وسعة الصدر ما يمكنه من رعاية المجتمع بالشكل الذي يضمن لهم حياة كريمة دون إيقاع الأذى بهم وخاصة أن الأمة بحاجة لمن يأخذ بيدها.

ونحن اليوم أحوج ما نكون إلى قيادة حليمة تسوس الأمة وتعمل على راحتها وتعامل المخالف بما يأمر به شرعنا لا ما يأمر به هواها.

4. تُحيلُ العداوة مودة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ فصلت:34،35

وقد تعددت الآيات التي تدعو المسلمين إلى التَّحلّي بهذا الخُلُق النَّبيل وترغبهم به، وبعدم المعاملة بالمثل ومقابلة الإساءة بالإساءة، وتحثهم على الدَّفع بالتي هي أحسن، والصَّفح عن الأذى والعفو عن الإساءة. ومنها قوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ آل عمران:134، وهذه الأركان الثلاثة لا يوصف المرء بالحلم إلا إذا استوعبها. ومنها قوله تعالى في وصف حلم نبي الله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ هود:75، وكلنا يعلم ما قد لاقاه عليه السلام من أذى من قومه حين ألقوه في النار، ووصف الله تعالى ابنه إسماعيل عليهما السلام بتلك الصفة، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ الصافات:101، وقوله تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف:67، وصبره عليه السلام هذا كان رغم سباب قومه وسخريتهم فقابل كل ذلك بدعوة التوحيد وأوضح لهم مهمته ورسالته ونصح لهم بالحسنى وهو يأمل إقناعهم على ذلك.

ووردت أحاديث ثابتة كثيرة عن النبي ﷺ في فضل الحلم وعدم الغضب، منها قوله ﷺ لأشجِّ عبد القيس: "إنَّ فيك لخصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم والأَنَاة". رواه مسلم، وقوله ﷺ للرجل الذي جاء يطلب وصيته، قال: (لا تغضب) فردد طلبه مراراً.. قال (لا تغضب) رواه البخاري، قال الراوي أبو هريرة رضي الله عنه: فكرت حين قال النبي ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله والعقل ينقص عند الغضب فيؤدي إلى قول الباطل وكتم الحق.

وكان دعاء النبي ﷺ (أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا) رواه النسائي، وصححه الألباني، قال النبي ﷺ "لا يقضين حَكَم بين اثنين وهو غضبان". رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلًا أتى النَّبيَّ ﷺ يتقاضاه فأغلظ، فهمَّ به أصحابه، فقال رسول الله ﷺ: دعوه فإنَّ لصاحب الحقِّ مقالًا. ثمَّ قال: أعطوه سِنًّا مِثْل سِنِّه، قالوا: يا رسول الله، لا نجد إلَّا أمثل مِن سِنِّه، فقال: أعطوه، فإنَّ مِن خيركم أحسنكم قضاءً"، رواه البخاري ومسلم.

وقال النبي ﷺ:"ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله عز وجل من جرعة غيظ يكظِمُها ابتغاء وجه الله". رواه أحمد وابن ماجة، قال البوصيري إسناده صحيح، رجاله ثقات، وقال ﷺ أيضًا-: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" رواه البخاري ومسلم، فالحلم من علامات القوة والثبات، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ الشورى:43.

ووردت أقوال عدة عن الصحابة رضي الله عنهم في فضل الحلم: منها ما روي عن عمر رضي الله عنه: "التروي في كل أمر خير إلا ما كان من أمر الآخرة". وعن عليٌّ رضي الله عنه: "ليس الخير أن يَكْثُر مالك وولدك، ولكنَّ الخير أن يَكْثُر علمك ويَعْظُم حلمك، وأن لا تُباهي النَّاس بعبادة الله، وإذا أحسنت: حمدت الله تعالى، وإذا أسأت: استغفرت الله تعالى". ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء، وقال أيضا: "من لانتْ كلمتُه وجبتْ محبتُه، وحلمك على السفيه يكثر أنصارك عليه". وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: "لا يبلغ العبد مبلغ الرَّأي حتى يغلب حِلْمُه جهله، وصبرُه شهوته، ولا يبلغ ذلك إلَّا بقوَّة الحِلْم". ذكره أبو القاسم الطبري الرازي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وقال رضي الله عنه لعَرابة بن أوس: بم سدت قومك يا عرابة؟ قال: "يا أمير المؤمنين كنت أحلم على جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في قضاء حوائجه". وإنما لصور تبين أهمية تلك الصفة في حياة قادة الأمة رضي الله عنهم بعد رسول الله ﷺ، تلك التي رباهم عليها وظل يوصيهم بها في أكثر من مناسبة كما قد بينت.

وأما جزاء التحلي بتلك الصفة العظيمة فهي دعوة الله تعالى صاحبها يوم القيامة وتخييره من الحور العين ما شاء، فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره من الحور العين ما شاء". رواه أحمد في مسنده وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ البقرة:269

الحكمة لغةً: مِنْ حكُمَ يحكُم، حُكْمًا وحِكْمةً، فهو حكيم، وحكُم الشَّخصُ: صار حكيمًا، وهو أن تصدر أعمالُه وأقوالُه عن رويّة ورأي سديد "وأبغضْ بغيضَك بُغْضًا رويدًا.. إذا أنت حاولت أن تَحْكُما: إذا حاولت أن تكون حكيمًا".

أما اصطلاحـــــًا: فقد قيل إنها إِصَابَة القَوْل من غير نبوة، وَقيل ذَلك فِي قَوْله اللَّهُمَّ علمه الْحِكْمَة. وَقيل إنها الْعلم بِالدّينِ، وَقيل الْعلم بِالْقُرْآنِ، وَقيل الْفِقْه فِي الدّين، وَقيل إنها الخشية، وَقيل الْفَهم عَن الله فِي أمره وَنَهْيه، وَهَذَا كُله يَصح فِي معنى قَوْله الْحِكْمَة يَمَانِية وَقَوله علمه الْحِكْمَة لَا سِيمَا مَعَ قَوْله الْفِقْه يَمَان.

وهذه كما بَيَّنَ تعالى في الآية الكريمة هِبَةٌ يؤتيها الله تعالى من يشاءُ من عباده، ولا يعني كونها كذلك انها ليست بمُكْتَسَبة، ولكن لها أسباب ينبغي السعي في تحصيلها لتُنال أو يُنال نصيبٌ منها بإذن الله تعالى وفَضْله، ويتضحُ ذلك إذا عَلِمنا أنَّ لها أركانًا متى ما رُوعِيَتْ كان المُتَّصِفُ بها أجدرَ بنَيلها، وهي كما بيَّنها ابنُ القَيِّم، قال: "ولها ثلاثة أركان: العلمُ والحلمُ والأناةُ، وآفاتها أضدادها: الجهلُ والطيشُ والعجلةُ فلا حكمة لجاهلٍ ولا طائشٍ ولا عجولٍ والله أعلم"، وقَدْ يُضافُ إلى تلك الأركان: كرهُ التصدِّر في المواقف؛ فقد يُوَسوسُ الشيطانُ لأحدٍ ما أنَّه يمتلكُ حِكْمةً لا يَمتلِكُها غيرُه، وأنه أحقُّ بتَصَدُّر موقفٍ ما برأيه السَّديد، وقد يُزَيِّنُ لهُ ذلك بأنَّه على سَبيلِ النُّصْحِ والمَصلَحة للمسلمين والأمة وما إلى ذلكَ، فيَغتَرَّ برأيه، فيَعْقبُ ذلكَ خسرانًا وخُذلانًا؛ فَقَدْ عَلِمْنا أن توفيقَ الله تعالى لا يصيب مغرورًا، وإن الفارَّ من التَصَدُّر والدنيا بصورةٍ عامَّةٍ يَلحَقُهُ توفيقُ الله تعالى لحاقًا –إن صحَّ التعبير–، وقد كان الشافعي (رحمه الله تعالى) يتمنى حين كان يضطر لمناظرة أحدَهُم في مَسألةٍ ما أن يُوَفَّقَ ويُعان ويُسَدَّد – أي المخالف– (حلية الأولياء)، وكان يقول: رأيي صواب يَحتَمِلُ الخطأ، ورأيُ غيري خَطأ يَحتَمِلُ الصواب، وما ذاك إلّا لحاجةٍ كتلكَ التي بيَّنتُ آنفًا. وكلامي لا يعني أن يَكْتُمَ الإنسانُ رأيَهُ لاسيَّما إن كان قائدًا معروفًا برَجاحَة عَقله، بل إنه يُعابُ عليه أن يَكون تبَعًا لآراءٍ لا يرى الحق معها، فالمقصود أن يَكرَه التصدُّر ولا يَغتَرَّ بحكمته.. وإلّا فهو أولى الناس للاتصاف بالحِكْمة

والعمل بمقتضاها؛ لِشدَّة حاجتِه إليها، لذا فقد كان من الواجبِ علَيهِ أن يَسعى حثيثًا لاكتسابها لِيَنزِلَ عليه توفيقُ الله تعالى وتَسديدُه في أحوج ما يكون إليه من المواقف، وكما قال ابن القيِّم في تعريفِ الحِكْمَةِ بأنَّها: فعل ما ينبغي كما ينبغي في الوقت الذي ينبغي ا.هـــ، كما ينبغي عليه أن يُدرِّبَ نَفسَهُ أن يزن الأمور ميزانها، وأن يملك بُعدًا للنظر وسعةً للصدر، ويَجْعَلَ ذلكَ كُلُّهُ في سبيل أمَّتِهِ ورَعِيَّتِه؛ فيفني حياته ووقته من اجل راحتهم ليس له همٌّ إلا ذلك، ليكافأه الله تعالى بأن يؤتيه تلك الحِكْمة. وقد جاء أن عيسى عليه السلام قال: "إن الحكمة هي نور كل القلوب"، نعم إنها نور ينير به الله تعالى قلوب عباده المخلصين الذين يصطفيهم ويهديهم إلى صراطه المستقيم، ذلك الصراط المؤدي إلى الجنة التي عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

لقد ذكَرَ الله تعالى الحِكمةَ في كتابه 20 مرةً لعِظَمِها وأهميَّتِها، إنَّ بالحِكمَةِ ينقل القائد شعبه من ظلمات الجهل والتعاسة إلى نور التآلف والحضارة والعلم متخذًا القرآن والسنة منهاجًا في دعوته متمثلًا في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125].

ولَعَلّي أذكُرُ حِكْمَتَهُ ﷺ في عدمِ قَتْلِه عبد الله بن أبي ابن سلول –رأس المنافقين– رغم ما قام به هذا من إيذائه ﷺ في أكثَرِ من حادثةٍ مما قَدْ عُلِمَ في مَوضِعِه، ومِن تلكَ المواضع ما ذكره البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: "غزونا مع رسول الله ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع أنصاريا، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الأنصاري: "يا للأنصار"، وقال المهاجري: "يا للمهاجرين"، فخرج النبي ﷺ، فقال: "ما بال دعوى أهل الجاهلية؟ ثم قال ما شأنهم؟" فأُخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي ﷺ: "دعوها فإنها خبيثة". وقال عبد الله بن أبي سلول: أقد تداعوا علينا لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل".[رواه البخاري]، أراد من ذلك (لعنه الله) إلقاء الضغينة بين قلوب المهاجرين وإخوتهم الأنصار وبث الفتنة والفرقة بينهما، فلما بلغ رسول الله ﷺ ما قال وكان عنده عمر رضي الله عنه، قال عمر: "ألا نقتل يا رسول الله هذا الخبيث؟"، فقال النبي ﷺ: "لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه"[رواه البخاري]. وفي رواية: فقال عليه السلام: (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا ولكن أَذِّنْ بالرحيل" [السيرة النبوية لابن هشام]، ولم يقتصر ﷺ على ترك قتله بل تعداه إلى الرفق به، وحسن صحبته، ويظهر ذلك حين طلب ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي سلول رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أن يسمح له بقتل أبيه، فقال له ﷺ: "بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا". [السيرة النبوية لابن هشام]

فقد بَيَّنَ رسول الله ﷺ المانِعَ من قَتلِه وهو "خشية أن يظن من لا علم له بأمره –أي بأمرِ ابن أُبَيّ– من الناس أنه ﷺ يَقتُلُ أصحابه وهو ما يُنَفِّرُهم عن الدين.. وأما أمرُه ﷺ عمر رضي الله عنه أن يؤذن في الناس بالرحيل في غير وقته، ثم متابعة السير حتى الإعياء، فكان وسيلة لإشغال المسلمين وصرفهم عن الفتنة التي بثها ابن أبي بين المهاجرين والأنصار، والتي كان غرضها إفساد

الود والإخاء بين قلوب المهاجرين وإخوتهم الأنصار. ولا يخفى أن حكمته ﷺ تلك قد آتت أكُلها فيما بعد، فقد تلاشى أمر المنافقين وفُضِح أمر ابن أُبي حتى جعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بلغه ذلك من شأنهم: "كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته"، قال عمر: "قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري" السيرة النبوية لابن هشام، وفي واقعة أخرى يحدث جابر بن عبد الله فيقول: لما قسم رسول الله ﷺ غنائم هوازن بين الناس بالجعرانة قام رجل من بني تميم فقال: اعدل يا محمد!! فقال النبي ﷺ: ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل.. فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ألا أقوم فأقتل هذا المنافق؟ قال: معاذ الله أن تتسامع الأمم أن محمداً يقتل أصحابه، ثم قال النبي ﷺ: إن هذا وأصحاباً له يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم" رواه أحمد، فحاصل الأمر أن قتل المنافق أو حده غير مشروع لأسبابٍ لخصها ابن تيمية (رحمه الله) بـــــــــ: (عدم ظهوره –أي الحد أو القتل– بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام، أو لعدم إمكان إقامته إلا مع تنفير أقوام عن الدخول في الإسلام وارتداد آخرين عنه وإظهار قوم من الحرب والفتنة ما يربي فساده على فساد ترك قتل منافق)، ثم قال رحمه الله: (وهذان المعنيان حكمهما باقٍ إلى يومنا هذا إلا في شيء واحد وهو أنه ﷺ ربما خاف أن يظن الظان أنه يقتل أصحابه لغرض آخر مثل أغراض الملوك فهذا منتفٍ اليوم). وليس كما يَفْعَلُ جهلاءُ اليوم –ولا حول ولا قوَّةَ إلَّا بالله–، الذين جَعَلوا عامَّةَ المُسلمينَ منافقين وكُفَّار بتأويلاتٍ لم يُنْزِل اللهُ بها من سُلطانٍ، فنفَّروا الناس بل وحتى المسلمين عن الدين وشَرعِ الله تعالى، فَهلّا اقتَدَوا بنَبيِّهم وتَفَكَّروا في حِكْمَتِه في عدم قَتْلِ ابن أبَي وقد عُلِمَ نفاقُه في أوساطِ المسلمين؛ أَلَم يُدْرِكوا أنه مادام عامة غير المسلمين "ولا سيما من هم خارج ديار الإسلام" لا يعلمون عن النفاق والمنافقين شيئًا، ويعتقدون الإسلام الحق في كل من ينتسب إليه، فلا ينبغي قتل المنافق –وإن عُلِم نفاقه في أوساط المسلمين– حتى يُظْهَرَ أمرُهُ ويُعلَنَ نفاقُه على الملأ من جميع الخلق، فإن كان في مَنَعَةٍ من قومه ولم يُعلَم نفاقه فيهم وفي المسلمين فحينئذ يُصبَر عليه حتى يُفتَضَح أمره تلقائيًا ويظهَر نفاقه عندهم ثم عند بقية الخلق؛ حينذاك فقط ستُزالُ الشُّبُهاتُ التي تُلقيها النفوس بشأنِ الدين الجديد فتَدْخُلُهُ بملء القلوب والعقول، وإن الأمر ليس بهَيِّنٍ فإن رسولَ الله ﷺ عانى أذى المنافقين وتعامَلَ مَعَهُم بحِكمَتِه كما بيَّنتُ فوَفَّر بذلك المناخ المُناسِبِ لِمُعظَمِ الأعداء أئمَّةِ الكُفْرِ أن يتحوَّلوا إلى أئمَّةٍ للإيمان... ولكن لا حياةَ لمن تنادي –إلّا أن يشاء الله–، فإن هؤلاء يقتُلون مسلمين لا منافقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن حِكْمَتِه ﷺ في دعوَةِ المُسلمين إلى الفضائل، ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي أُمامة أنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ قَالُوا مَهْ مَهْ فَقَالَ أَدْنُهْ فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا قَالَ فَجَلَسَ قَالَ أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، قَالَ:

أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ، قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ". رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.

وما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السُّلَمي، قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ، مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ، مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ».

ومن صور حِكْمَتِهِ ﷺ ما كانَ منهُ عليه السلام في صلح الحديبية، وما كان لذلك من الأثر العظيم في تأسيس مرحلة جديدة للدعوة ودُخول الناس في دين الله تعالى أفواجًا وفتح البلاد وتعبيد العباد لرب العباد فمتى سيتعلم القادة من حكمته صلى الله عليه وسلم؟ ومتى سيسيروا على هديه؟

يقول ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب:21، والله أنّا في أشَدِّ الحاجة لقادة تكون هذه الصفة مُتأصِّلة في أفكارِهم، يَكفينا تهوُّرًا وجُرأةً في أفعالٍ أساءَت لدين الله تعالى! أعلَمُ أن هناك مسلمينَ يعدُّون بعضَ المواقف اللِّينة ضَعفًا وتنازُلًا، وهؤلاء قد يكونون صادقين غَيورين على دينهم، كما كان صحابة رسول الله ﷺ؛ روى البخاري أنَّه ﷺ حين كان يملي على علي بن ابي طالب رضي الله عنه في صلح الحديبية، ويقول له اكتب: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. قال سهيل: أما الرَّحمن، فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهمَّ. فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرَّحمن الرَّحيم. فقال النَّبي ﷺ: اكتب: باسمك اللهمَّ. ثم قال: هذا ما قاضى عليه محمَّد رسول الله. فقال سهيل: والله لو كنَّا نعلم أنَّك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمَّد بن عبد الله. فقال النَّبي ﷺ: والله إنِّي لرسول الله، وإن كذَّبتموني، اكتب: محمَّد بن عبد الله.

ولكن تلك الحكمة هي التي عجلت مجيء فتح الله تعالى فكم نحن اليوم بحاجة لمن يتأسى بنبيه ﷺ في ذلك فتكون له بصيرة وبعد نظر وعدم استعجال، فمن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه.

إن قيادة المُسْلمين ليس بالأمر السهل؛ فهو لا يكون بالجاه أو بكثرة المال، ولكن برجال حُكَماء يَعلَمُونَ مآلاتِ أقوالهم وأفعالهم، يعرفون متى يتخذون القرار المناسب في الوقت المناسب بالشكل المناسب.

كما تجلت حكمة أبي بكر الصديق ﷺ حين مات النبي صلى الله عليه فعن ابن عباس ﷺ قال: إنَّ أبا بكر ﷺ خرج، وعمر ﷺ يكلِّم النَّاس، فقال: اجلس. فأبَى، فقال: اجلس. فأبَى، فتشهَّد أبو بكر ﷺ، فمال إليه النَّاس، وتركوا عمر، فقال: أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمَّدًا ﷺ، فإن محمَّدًا ﷺ قد مات، ومن كان يعبدُ الله، فإنَّ الله حيٌّ لا يموت. قال الله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ آل عمران:144.

والله لكأنَّ النَّاس لم يكونوا يعلمون أنَّ الله أنزلها حتى تلاها أبو بكر ﷺ، فتلقاها منه النَّاس، فما يُسْمَع بَشَرٌ إلَّا يتلوها.

إن حكمة أبي بكر ﷺ في هذا الموقف العظيم الذي هز أركان الدولة الإسلامية والمسلمين والتي هي من أعظم المصائب التي مرت على البشرية منذ أن خلق الله آدم عليه السلام إلى قيام الساعة، إن قوة أبي بكر الصديق وحكمته في تدارك أمر المسلمين وجمع كلمتهم كان لها الأثر الكبير في الحفاظ على الدولة الإسلامية ووصول الإسلام إلينا في هذا الزمان.

إن القائد الحكيم هو الذي يَخرج للأمة في الوقت المناسب ويُظهر قيادته الحكيمة التي تساعد في حل إشكاليات المجتمع وجمع شمله وتوحيد كلمته ورص صفوفه في مواجهة أعدائه المتربصين الذين ينتظرون الفرصة المناسبة لينقضوا على الأمة للخلاص منها ومن دينها الذي هو عصمة أمرها، ومن المواقف الحكيمة للنبي ﷺ وسياسته الراشدة أن تَحَمَلَ أذى رأس النفاق عبد الله ابن سلول ولم يقتله ومن حكمة عمر ﷺ أنه كان مع أهله قويًّا، فكان إذا أراد أن يأمر المسلمين بشيء أو ينهاهم عن شيء مما فيه صلاحهم ونجاحهم وفلاحهم، بدأ بأهله، وتقدم إليهم بالوعظ لهم، والوعيد على خلافهم أمره، فعن سالم بن عبد اللّه بن عمر، قال: " كان عمر إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، وأقسم باللّه لا أجد أحدًا منكم فعله إلا أضعفت عليه العقوبة".

وهذا من أعظم مواقف الحكمة؛ لأن الناس ينظرون إلى القائد والإمام وإلى سلوكه ومعاملته مع أهله قبل الرعية ومدى تطبيقه العملي والقولي لما يدعو إليه، كما ينظرون إلى تطبيقه ذلك على أهله ومن تحت يده.

قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ الأعلى:17،18،19

الجُود لغة: مصدر جادَ، من قَوْلك جَاءَت السَّمَاء غذا جَاءَت بمطر غزير، وَالْفرس الْجواد الْكثير الْإِعْطَاء للجري، وَالله تَعَالَى جواد لِكَثْرَة عطائه فِي مَا تَقْتَضِيه الْحكمَة.

واصطلاحًا: كَثْرَة الْعَطاء من غير سُؤال، أو بذل ما ينبغي من الخير لِغَيْر عِوَض.

إن الجود من صفات الكُمَّل الذين يختارهم الله تعالى لغاية، فيُحبِبُ إليهم البذل ويجعله سجيةَ في نفوسهم، وهؤلاء هم من يمتلكون قلوب من حولهم من الخلق بفعلهم ذاك؛ تلك القلوب التي جُبِلَت على حبِّ من يُحسن إليها، لذلك فإن القائد أولى الناس بالاتصاف بتلك الصفة العزيزة في زمن كَثُرَ فيه الطمع والخداع.

إن رعاية الأمة تتطلب الكثير من تحمل المسؤولية، فهي تكليف وحمل ثقيل لا تشريف، بذل وعطاء لا أخذ، فعلى القائد أن يُراعي ذلك، ويقوم على حاجة رعيته، ويقدمها على حاجته، ويجُودَ بكل إمكاناته في كافة المجالات المعروفة –العلمية والاجتماعية والدعوية والمعيشية والعسكرية...الخ–، ويجعل نصب عينيه قول رسول الله ﷺ: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته".

وعليه أن يركز على المجال العلمي، فيجود على أهله، ويقوم بفتح المراكز العلمية والمختبرات لينمي قدرات العلماء وطلبة العلم؛ فالأنظمة الوظيفية التي تحكم البلاد العربية والإسلامية في زمننا حاربت العلم وأهله وزجتهم في سجونها، وهو ما دعا العلماء للهجرة إلى الغرب الكافر ليمارسوا تجاربهم العلمية ويباشروا اختراعاتهم التي نحن أحوج الناس إليها.

لقد كان ﷺ أجود الناس قبل البعثة، فقد جاء في وصف خديجة رضي الله عنها له عليه السلام عند نزول الوحي: "إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ". رواه البخاري

وأما بعد البعثة فإن التعبير ليعْجَزُ عن وصف جُوده ﷺ وهو النبي الخاتم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ". رواه البخاري

كان ﷺ لا يرد مسألة أحد كما روى سهل بن سعد رضي الله عنه قال: جاءت امرأةٌ إلى النبي ﷺ بِبُرْدَةٍ، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها فَلَبِسَهَا، فرآها عليه رجلٌ من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه، فَاكْسُنِيهَا. فقال: "نَعَمْ". فلمّا قام النبي ﷺ لاَمَهُ أصحابه، قالوا: ما أحسنْتَ حين رأيتَ النبي ﷺ أخذها مُحتاجًا إليها ثم سألتَه إيّاها، وقد عَرفتَ أنّه لا يُسْأَلُ شيئًا فيمنعه. فقال: رَجَوْتُ بَرَكَتَهَا حين لبسها النبي ﷺ؛ لعلّي أُكَفّن فيها" رواه البخاري، و عن أنس رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى الإِسْلاَمِ شَيْئًا إِلاّ أَعْطَاهُ. قَالَ: فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا؛ فَإِنّ مُحَمّدًا يُعْطِي عَطَاءً لاَ يَخْشَى الْفَاقَةَ). رواه مسلم

وكان ﷺ يعطي قبل السؤال، ويسعد بذلك أيما سعادة؛ كان ﷺ يقول: "مَا يَسُرُّنِي أَنّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلاّ شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلاّ أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ: هَكَذَا، وَهَكَذَا، وَهَكَذَا. عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ). رواه البخاري

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: «غَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ غَزْوَةَ الْفَتْحِ، فَتْحِ مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاقْتَتَلُوا بِحُنَيْنٍ، فَنَصَرَ اللهُ دِينَهُ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ مِائَةً مِنَ النَّعَمِ ثُمَّ مِائَةً ثُمَّ مِائَةً» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ صَفْوَانَ قَالَ: «وَاللهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ". رواه مسلم

ومن صور كرمه ﷺ أن الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ ابن عفراء رضي الله عنهما قالت: أتيت رسول الله ﷺ بِقِنَاعٍ من رُطَبٍ، وَأَجْرٍ من قثّاءٍ زُغْبٍ، فأعطاني ملء كفه حليًّا. أو قالت: ذهبًا. وَقَالَ: "تَحَلّيْ بِهَذَا" رواه الطبراني في المعجم الكبير". وجاءه ﷺ مالُ البحرين –وكان أكثر ما أُتِيَ به رسول الله ﷺ فقال: "انْثُرُوهُ فِي الْمَسْجِدِ". رواه البخاري

وكان ﷺ يحث أصحابه والأمة من بعدهم على الجُود، قال ﷺ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللّهُمّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا. وَيَقُولُ الآخَرُ: اللّهُمّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا". رواه البخاري ومسلم، ونورد من جود الصحابة (رضوان الله عليهم) بعض المواقف:

- *أبو بكر الصديق (رضي الله عنه):* الذي ما حاز من الفضائل رجلٌ بعد الأنبياء كما حازها هو، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُ الأَوْلِيَاءِ الْمُتَوَكِّلِينَ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ أَخْرَجَ مَالَهُ كُلَّهُ، وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: مَا تَرَكْتَ لأَهْلِك؟ قَالَ: تَرَكْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. وَمَعَ هَذَا فَمَا كَانَ يَأْخُذُ مَنْ أَحَدٍ شَيْئًا لا صَدَقَةً وَلا فُتُوحًا وَلا نَذْرًا، بَلْ إنَّمَا كَانَ يَعِيشُ مِنْ كَسْبِهِ. بِخِلافِ مَنْ يَدَّعِي التَّوَكُّلَ وَيُخْرِجُ مَالَهُ كُلَّهُ ظَانًّا أَنَّهُ يَقْتَدِي بِالصِّدِّيقِ؛ وَهُوَ يَأْخُذُ مِنْ النَّاسِ إمَّا بِمَسْأَلَةِ وَإِمَّا بِغَيْرِ مَسْأَلَةٍ، فَإِنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ حَالَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ. وقد نزل فيه ﷺ قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ الليل:17، قال ابن الجوزي: أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر، فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله. رواه أحمد في مسنده، وقال شعيب أرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه ابن حبان في صحيحه

- *عثمان ﷺ:* الذي جَهَّزَ جيش العُسرة واشترى بئر رومة ووسع المسجد من حُرِّ ماله، عن ثمامة بن حزن القشيري قال: "شهدت الدار يوم أصيب عثمان ﷺ فاطّلَعَ عليهم اطلاعة فقال ادعوا لي صاحبيكم اللذين ألّبَاكم عليّ فدعيا له فقال نشدتكما الله أتعلمان أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال من يشتري هذه البقعة من خالص ماله فيكون فيها كالمسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين وأنتم تمنعوني أن أصلي فيه ركعتين ثم قال أنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها بئر يُستعذب منه إلا رومة فقال رسول الله ﷺ من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلي المسلمين وله خير منها في الجنة فاشتريتها من خالص مالي فأنتم تمنعوني أن أشرب منها ثم قال هل تعلمون أني صاحب جيش العُسرة قالوا اللهم نعم" رواه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن،وعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار قال الحسن بن واقع وكان في موضع آخر من كتابي في كمه حين جهز جيش العسرة فينثرها في حجره قال عبد الرحمن فرأيت النبي ﷺ يقلبنا في حجره ويقول ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين. رواه الترمذي في سننه وقال حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الألباني حسن، ورواه الحاكم في المستدرك

أبو طلحة ﷺ: الذي جاد بأحب أمواله إليه، عن أَنَس بْنَ مَالِك ﷺ، قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران:92 قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران:92 وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ

رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ» فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.رواه البخاري ومسلم

وكثيرة هي صور الجود في حياة الصحابة ﷺ فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتب السير.

إن المسلمين اليوم غَدوا ضحايا لفساد حُكامِهِم، أولئك الذين سلبوهم أبسط حقوقهم من أجل مصالحهم الشخصية بل ومصالح عُملائهم من الغرب –فحاربوا المسلمين بتلك الحقوق المسلوبة!–، ووالله إن التعبير ليعجز عن وصف ما أحدثه هؤلاء فيهم من الفقر والعَيلَة حتى ألجؤوهم إلى قضاء ساعات طويلة يكدحون فيها وينصبون من أجلِ لقمةٍ يتَقوَون بها على هذه الحياة، فأنسوهم دورهم في بناء أمتهم بل وأوغلوا قلوبهم سخطًا على بلادهم التي عانوا فيها ما عانوا، والتي كان يجب أن يغاروا عليها من أمثالهم، فأشغلوهم بأنفسهم عنها! وإن ذلك كله ليصبُّ في مصلحة من؟! ومن وراء كل ذلك؟! أخرجوا انتم بالنتيجة.. فهل أدركتم إخوتي ماذا يعني جُود الحاكم وماذا تعني تضحيته بحاجته من أجل حاجة رعيته؟ وإنه والله ليس بيسير إلا على من يخاف الله ويخشاه، قال ﷺ (اللهم من وليَ من أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم، فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به" رواه البخاري ،وعن أبي مريمَ الأَزديِّ ﷺ أنه قَالَ: سَمِعتُ رسولِ اللَّه ﷺ يقول: «من ولاَّهُ اللَّه شَيئاً من أُمورِ المُسلِمينَ فَاحَتجَبَ دُونَ حَاجتهِم وخَلَّتِهم وفَقرِهم، احتَجَب اللَّه دُونَ حَاجَتِه وخَلَّتِه وفَقرِهِ يومَ القِيامةِ» فَجعَل مُعَاوِيةُ رجُلا على حَوَائِجِ الناسِ". رواه أبو داودَ، والترمذي، وابن سعد، والحاكم، والبيهقي، وإسناده صحيح

كم نحن اليوم بحاجة لأمثال علي ﷺ، الذي كان يُوجهُ ولاته على البلاد ويقول لهم: " كُونُوا فِي النّاسِ كَالنّحْلَةِ فِي الطّيْرِ : إِنّهُ لَيْسَ مِنْ الطّيْرِ شَيْءٌ إِلّا وَهُوَ يَسْتَضْعِفُهَا، وَلَوْ يَعْلَمُ الطّيْرُ مَا فِي أَجْوَافِهَا مِنْ الْبَرَكَةِ، لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِهَا، خَالِطُوا النّاسَ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَأَجْسَادِكُمْ، وَزَايِلُوهُمْ بِأَعْمَالِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ، فَإِنّ لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ، وَهُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبّ" رواه الدارمي في سننه، وقال حسين الداراني المحقق إسناده صحيح وهو موقوف على علي ﷺ،وأمثال عمر بن عبد العزيز رحمه الله الذي كان يقول: انثروا القمح على رؤوس الجبال كي لا يقال انه جاع طائر في بلاد المسلمين!

وأخيرًا أقول لكم أيها المسلمون إننا اليوم بحاجة إلى جودكم أنتم، بحاجة إلى أموال أغنيائكم لِتُرَدَّ على "أمتكم"! وإلّا فقولوا لي بالله عليكم من يتحمل مسؤوليتها إن لم تكونوا أنتم؟! هل تنتظرون حُكَّامًا أم غربًا لِيُمَوِّلَ مشروعَها؟ لا أتكلم فقط عن الفقر الذي أطبق على عامة المسلمين حتى أنساهم وظيفتهم التي خلقهم الله تعالى من أجلها، ولكني أتكلم عن أصل الأمر كله ومادته، تلك الجيوش التي لا زالت تتحرق شوقًا للسير نحو عز أمتكم وانتشالها من هذا الضياع ثم أعياها فقر عدمًا! هذا هو الجذر فانشغلوا بسقيه كي يُقِرَّ أعينكم بأشجار أصلها ثابت وفرعها في السماء تُؤتِي أكلها كل حين بإذن ربها، تستأصل كل ما تُعانونه

من هذه المآسي والآلام. وإني أوصي من أثرت فيه كلماتي بتحري البحث عن تلك الجيوش التي لا تسير إلا على خطى نبيكم ﷺ وصحابته وآل بيته رضي الله عنهم، فإنها أمانة.

الحزم لغةً: هو ضبط الإنسان أمْرَه وأخذُه فيه بالثِّقة، من الحزم الذي هو الربط والشِّدَّة. ورجلٌ حازمٌ إذا كان مُحْكَمًا غيرَ منتكثٍ في رأيه وتصرُّفه. ومن معانيه: التأهب للأمر. وعُرِّف أيضًا بـــــــ(سوء الظن). والترابط بين هذه المعاني واضح؛ إذ إن الإنسان الحازم مشهور بـــيقظته وفطنته، فلا تجده ساذجًا دائمَ التبرير بحق المسيئين، ولكن متيقظًا حذرًا مسيئًا للظن حيث ينبغي أن يكون، وتراه دومًا متأهبًا مستعدًّا لردع من يستحق الردع منهم في الوقت المناسب، ثم هو شديد عليهم بحسب إساءاتهم. فهو ضابط لأموره، متمكن منها دومًا.

أما اصطلاحًا: فهو الجزم في التغليظ على المسيئين، وعدم التردد في معاقبتهم، وترك التبرير وحسن الظن في حقهم. وحدُّه: معرفة الصديق من العدو، والمخطئ في إساءته من المتعمد المصرّ عليها.

إن من أهم الصفات المطلوبة في القائد هي صفة الحزم؛ وهذا أمرٌ بديهي معروف في الفِطَر؛ فإن القائد يُعابُ عليه لينه الدائم في غير مَوضعه، وهنا لا بُدَّ من التنبيه إلى كون الحزم المطلوب هنا يَجبُ أن يكون في مَوضعه، كما أن اللين المطلوب يجب أن يكون كذلك، وهذا قد ضَلَّ فيه فريقان، ففَرَّطَ أحَدُهُم وأفرَط الآخر، والمطلوب الوسط واتِّخاذ من سُنَّة رسول الله ﷺ دليلًا.

إن لحَزْمِ القائدِ فوائدَ جَمَّة للمسلمين، وإن لاتِّصافه بخلاف ذلك ضياعًا لهم وللأمة! ويتَبيَّن ذلك بِقُدْرَته –أي إن كان متَّصفًا بتلك الصفة العظيمة– على فَرْضِ رأيه الذي تَرَجَّحَ له صوابه على كل من يخالفُه فيه وإن كان ذلك المُخالف من حاشيته المُقَرَّبة إليه، وإن كان صاحب فضلٍ عليه، وإن كان يخشى شيئًا من ثَورَته عليه، وكيف لا يكون القائد كذلك وهو من يَجبُ أن لا يخشى في الله لومة لائم، وأن يُقَدِّمَ مصلحة الأمة على أي اعتبار؟ إن القائد المثالي هو الذي يبحث عن الحق في كل حال، ولا يَضُرُّه إن اتَّضَحَ خطؤه أن يعود إلى ذلك الحق ويتمسك به بكل إصرار مهما كلف الأمر ولو انسحب الجميع من حوله، ذاك هو القائد الحازم..

ومن أمثلة حزم رسول الله ﷺ فعله مع أبي عزة الشاعر، فقد روى مسلم في صحيحه: أنه ﷺ أسَرَ أبا عزة الشاعر يوم بدر، فمنّ عليه، وعاهده أن لا يحرض عليه، ولا يهجوه، وأطلقه فلحق بقومه، ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسَرَهُ يوم أُحد، فسأله المنَّ، فقال النبي ﷺ: "المؤمن لا يلدغ من نفس جحر مرتين". قال الإمام مسلم (رحمه الله) في شرحه لقول رسول الله ﷺ ذاك: (هو المؤمن الممدوح، وهو الكيِّس الحازم الذي لا يستغفل فيُخدع مرة بعد أخرى، ولا يفطن لذلك)، ولا يعني ذلك أن المسلم يجب أن يُلدغ مرة ليتنبه، ولكن عليه أن يكون فطنًا لنوايا المسيئين، متحزمًا في أمره معهم إن اتضح له سوء تلك النوايا، فإن أخطأ مرة وأحسن الظن في غير محله، فلا يُخدع من الشخص نفسه مرة أخرى.

ومن الأمثلة كذلك حزمه ﷺ مع يهود بني قريظة، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: (نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: "قوموا إلى سيدكم أو خيركم"، فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك". فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم، قال: "قضيت بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك".

ومن مواقف الحزم في كتاب الله قصة موسى عليه السلام مع قومه والسامري لما رجع من الطور بعد أن ناجى ربه وعاد بالألواح وقد علم من الله بخبر عبادة قومه للعجل فلما عاين الأمر أقبل على أخيه عليه السلام حين ظن تقصيره في إنكار المنكر– والسامري وقومه بالحزم، فأما هارون عليه السلام فلأنه كان قد استخلفه في قومه لدى ذَهَابه لميقاتِ ربِّه، كما أخبر تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف:142 فلمّا رَجَع ورأى ما أحدثه قومُه غَضِبَ عليه لظَنِّه تقصيره في الإنكـــــار عليهم. وقال قومٌ أنه غَضِبَ لتقصيره في الإنكارِ الفعلي واقتصاره على القوليّ منه. ولعَلَّ الراجحَ القولُ الأول، والدليل: أنَّه عليه السلام اعتذر لأخيه أن قومه استضعفوه و"كادوا" يقتلونه، أي أنه بلغ في شدة إنكاره عليهم أنَّهم أوشكوا قتله. وقيل إنه عليه السلام كان لينًا (دون موسى في شدة العزيمة وقوة الإرادة وأخذ الأمور بالحزم)، لذلك فإن القوم لم يسمعوا له وكادوا يقتلونه، وها هنا فائدة تؤكد وجوب أخذ الرئيس المرؤوسين بالحزم ولكنه الحزم بالحق، الحزم الذي يكون في موضعه.

- أما حزمه مع السامريّ رأس الفتنة فقد تمثل في:

أولًا: غضبه، وشدة لهجته: ويتبيَّن ذلك من خلال تهويله عليه السلام فعلَه عبرَ سؤاله عن "خطبه"، والخطب: الأمر الجليل. فكان رد السامريّ كما بينته الآية الكريمة: ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ طه:96 أي (لا بإلهام إلهي أو ببرهان نقلي أو عقلي!). فلما كان منه هذا:

ثانيًا: أمر نبي الله موسى (عليه السلام) بنبذه وعدم تكليمه أو مخالطته بقوله: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ طه:97، وهو ما يسمى في وقتنا بـــــــ"العزل المدني".

ثالثًا: ثم هدده بعذاب يوم القيامة في قوله: ﴿وإن لك موعدًا لن تُخلَفَه﴾ طه:97. ولما لم يقتصر ضرر ما ابتدعه السامريّ على نفسه وتعداه إلى بني إسرائيل، كان لا بُد من إدحاض شبهته أمام أعينهم، من خلال:

رابعًا: تحريق العجل وتذريته، والتحريق أبلغ من الحرق فمعناه تحريقه تحريقًا لا يدع له شكلًا. ثم تذريته في البحر تذريةً لا تُبقي له أثرًا يُتوَصَّل به إليه. وأكد عليه السلام الفعل "نسف" بالمفعول المطلق لاستئصال شبهة إلوهيته من قلوب بني إسرائيل؛ فهو عليه السلام لا يخشى غضب الإله المزعوم، لذلك فلن يتردد في نسفه نسفًا، ولعل هذا أقصى ما أمكن فعله لمحاولة استخراج ما وقر في قلوبهم من تلك الشُبهة. ومثل هذا ينبغي أن يُفعَلَ مع أمثال السامريّ من مبتدعين وغيرهم؛ قال القرطبي (رحمه الله): (هذه الآية أصلٌ في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وألا يُخالَطوا). هذا بالنسبة لصاحب البدعة الداعي لها. وقد وصف القرآن الكريم الموقف هذا كله بصورة حزم واضحة تشعر القارئ بسرعة اتخاذ المواقف، ثم القضاء على الفتنة برمتها وبحزم سريع يكاد يكون خاطفاً فلم يتردد أو يتكاسل، بل إن الوضوح والإصرار كان ملازماً لتصرفاته عليه السلام في القضاء على الأمر وهذا هو معنى الحزم الذي نتحدث عنه. ومن حزم الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه قتاله المرتدين بعد موت النبي ﷺ، فقد كثروا وتعددت أشكال ردتهم، منهم من ادعى النبوة، ومنهم من منع الزكاة، ومنهم من عطل الصلاة، فكان الحزم من قبل هذا الأمير، أما عمر رضي الله عنه فقد تردد في قتال من منع الزكاة لشبهة أنهم قالوا "لا إله إلا الله" فقال لأبي بكر رضي الله عنه: (يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أُمرتُ أن أُقاتِلَ الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، قال أبو بكر: والله لأُقاتِلَنّ من فَرّقَ بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها). رواه البخاري، فكان حزمه رضي الله عنه مع المرتدين فيه الخير الكثير لدين الله وللأمة فقد ثَبَّتَ أركان الدولة الإسلامية وتخلص من كل أعدائها في الداخل وكل من أراد أن يتخذ إلهه هواه، ومن ثم تفرغ لأعدائها في الخارج ولو نظرنا إلى هذا الحوار لرأينا فيه من الحِكمة والحزم الذي لا يتوفر عند الكثير من قادة الأمة فكانت الحِكمة في إقناع عمر رضي الله عنه ومن يحملُ نَفْسَ فِكرِه من خلال الحوار وكان الحزم من خلال قتال المرتدين والقضاء على الأهواء ومن سَوْفَ يُشتتُ شمل وأركان الدولة.

ومن حزم أمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه ما قام به من أول لحظة لدخوله الإسلام، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سَأَلْتُ عُمَرَ رضي الله عنه:" لِأَيِّ شَيْءٍ سُمِّيتَ الْفَارُوقَ؟ قَالَ: أَسْلَمَ حَمْزَةُ قَبْلِي بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ شَرَحَ اللهُ صَدْرِي لِلْإِسْلَامِ فَقُلْتُ: اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، فَمَا فِي الْأَرْضِ نَسَمَةٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَسَمَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟، قَالَتْ أُخْتِي: هُوَ فِي

دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ الْأَرْقَمِ عِنْدَ الصَّفَا، فَأَتَيْتُ الدَّارَ وَحَمْزَةُ فِي أَصْحَابِهِ جُلُوسٌ فِي الدَّارِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ، فَضَرَبْتُ الْبَابَ فَاسْتَجْمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ لَهُمْ حَمْزَةُ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: عُمَرُ، قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثِيَابِهِ ثُمَّ نَثَرَهُ نَثْرَةً فَمَا تَمَالَكَ أَنْ وَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَقَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُنْتَهٍ يَا عُمَرُ؟» قَالَ: فَقُلْتُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، قَالَ: فَكَبَّرَ أَهْلُ الدَّارِ تَكْبِيرَةً سَمِعَهَا أَهْلُ الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتْنَا وَإِنْ حَيِينَا؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ عَلَى الْحَقِّ إِنْ مُتُّمْ وَإِنْ حَيِيتُمْ»، قَالَ: فَقُلْتُ: فَفِيمَ الِاخْتِفَاءُ؟ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَتَخْرُجَنَّ، فَأَخْرَجْنَاهُ فِي صَفَّيْنِ، حَمْزَةُ فِي أَحَدِهِمَا، وَأَنَا فِي الْآخَرِ، لَهُ كَدِيدٌ كَكَدِيدِ الطَّحِينِ، حَتَّى دَخَلْنَا الْمَسْجِدَ، قَالَ: فَنَظَرَتْ إِلَيَّ قُرَيْشٌ وَإِلَى حَمْزَةَ، فَأَصَابَتْهُمْ كَآبَةٌ لَمْ يُصِبْهُمْ مِثْلُهَا، فَسَمَّانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ الْفَارُوقَ، وَفَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. حلية الأولياء للأصبهاني

فكم هي الأمة بحاجة لمن يقف تلك المواقف الحازمة في وجه أعدائها ليصدع بدعوة الحق ويتصدر قيادة الأمة ويُدافِعُ عن دينها ودمائها وأعراضها التي تُنتهك في مشارق الأرض ومغاربها، ولا سيما اليوم وفي الأمة أزمة قيادة! نحن بحاجة إلى قيادة رشيدة، تجمع كلمتنا وتوحد صفنا وتحزم أمرنا مع أعدائنا وترتب سياساتنا الداخلية والخارجية.

﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ص:20

الخطابة لغة: خَطَبَ خَطَابَةً وخُطْبَةً، فهو خَطِيب، والمفعول مَخْطُوب.

واصطلاحًا: قِطعَةٌ من الكلام تُوَجَّهُ إلى جمهور النَّاس، أو كلامٌ يخاطِب به المتكلِّم جمعًا من النَّاس لإعلامهم وإقناعهم.

إن الخطابة فنٌ عظيم له تأثير مباشر في عقول المُخاطَبين وقلوبهم؛ فإنها السبب الرئيس لإقناع تلك العقول، وكذا في إثارة مشاعر تلك القلوب؛ وقد قال رسول الله ﷺ حين قَدِمَ رجلان من المشرق فخَطَبا حتى عَجِبَ الناسُ لبَيانِهما: "إنَّ من البيانِ لسِحرًا". رواه البخاري، لذلك فإنها من الأمور الهامَّة في حياة القادة الذين هم أحوج الناس إلى التفافٍ للناس من حولهم، ولا يكون ذلك إلا

إذا كان أولئك على بَيِّنةٍ وبَصيرةٍ بما يقومون ويقولون، وعند ذلك فقط سيتمكنون من الانتقال بهم إلى حُكمِ الله تعالى كما كان قد انتقل رسول الله ﷺ بالصحابة.

لقد بيَّنَ اللهُ عز وجل أهمية الخطابة في حياة الرسل؛ فقال حاكيًا عن نبيه موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ﴾ الشعراء:13، وقال أيضاً: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ القصص:34. قال العلامة ابن سعدي (رحمه الله) : " كان في لسانه ثقل لا يكاد يُفهم عنه الكلام فسأل الله أن يحل منه عقدة يفقهوا ما يقول فيحصل المقصود التام من المخاطبة والمراجعة والبيان عنه المعاني، فعند ذلك قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ طه:36. فالبيان باللسان هو الوسيلة الأولى في الدعوة إلى الله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ابراهيم:4، إذ كان الأنبياء يرسلون بلسان أقوامهم ليبين لهم الحق ويقيموا عليهم الحجة بأوضح عبارة وأجمل أسلوب ولا يكون ذلك إلا بالإلقاء الجيد الناجح. لقد أدرك نبي الله موسى عليه السلام أهمية الخِطاب الديني والسياسي؛ ولذلك طلب من ربه تعالى أن يشرح صدره ويَحُلَ عقدةً من لسانه ثم يجعل معه أخاه هارون لأنه أفصح منه لسانًا، فأعطاه الله تعالى سُؤله.

وفي حياة رسولنا ﷺ الكثير من المواقف التي تُبين أهمية ذلك الأمر؛ ولعلَ في قصة قُدوم وفد بني تميم عليه ﷺ صورةٌ واضحةٌ لعِظم أثر الخطابة في الدعوة الإسلامية، وقد ساقها المفسرون والمؤرخون في كتبهم، قالوا: إن بني تميم قَدِمُوا المدينة عام الوفود، ثم نادَوا رسول الله ﷺ ليخرج إليهم –وهم المعنيون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات:4،فلما خرج إليهم قالوا: جئنا نفاخرُك ونشاعرُك بخطيبنا وشاعرنا، فقال ﷺ: ما بالشعر بُعِثْت، ولا بالفخار أُمرت، ولكن هاتوا. فقال الزبرقان بن بدر لشاب: افخر واذكر فضل قومك، فقال: الحمد لله الذي جعلنا خيرَ خلقه، وآتانا أموالاً نفعل فيها ما نشاءُ، فنحن من خير أهل الأرض، من أكثرهم عددًا ومالاً وسلاحًا، فمن أنكر علينا فليأتِ بقولٍ هو أحسن من قولنا، وفعلٍ هو أحسن من فعلنا. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس –وكان خطيبه–: قم فأجبه، فقال: الحمد لله، أحمدُه وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله، دعا المهاجرين من بني عمّه أحسن الناس وجوهًا وأعظمهم أحلامًا فأجابوه، والحمد لله الذي جعلنا أنصارَ دينه، ووزراء رسوله، وعِزًا لدينه؛ فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ فمَن قالها منع نفسه وماله، ومن أباها قتلناه، وكان غرمه علينا هينًا، أقول قولي هذا، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. ثم قام شاعرهم فأنشد، ثم أجابه حسان رضي الله عنه، فقال الأقرع بن حابس – رئيس الوفد–: والله، ما أدري: ما هذا الأمر؟ تكلم خطيبنا فكان خطيبُهم أحسنَ قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرُهم أشعرَ

وأحسَنَ قولاً، ثم دنا من رسول الله ﷺ وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله. فكان لهذه الخطبة أثرها في دخول ذلك الوفد الإسلام.

ولعل في الخطابة بعض الشروط أو المستحبات التي ينبغي أن يراعيها القائد، ومنها:

- أن يختارَ كلماتها بعناية، ويُحاوِلُ ما استطاع أن يجعلها طبقًا للمعاني التي يَجِدُها تزاحم خلده، ويا حبذا أن تكون مصحوبة بقوة صدق القائل وإخلاصه؛ فما خَرَجَ من القلب يَصِلُ إلى القلب.. وإنها لَمكرُمَة من الله تعالى له على ذلك. حتى إنه عز وجل قد يفتح عليه "فتأتيه المعاني إرسالاً وتنهال عليه الألفاظ انتهالاً" كما قال الجاحظ.

- أن يجعلها قصيرة ما استطاع فإنَّ الناس تَمَلُّ كَثرَة الكلام، وقد روى مسلم عَنْ وَاصِلِ بْنِ حَيَّانَ، قَالَ: قَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبَنَا عَمَّارٌ، فَأَوْجَزَ وَأَبْلَغَ، فَلَمَّا نَزَلَ قُلْنَا: يَا أَبَا الْيَقْظَانِ لَقَدْ أَبْلَغْتَ وَأَوْجَزْتَ، فَلَوْ كُنْتَ تَنَفَّسْتَ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا" (رواه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها).

- أن يتجنَّبَ ما يَجْهَلُه الناس في أمور الغيبيات، قال علي رضي الله عنه: (حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ" رواه البخاري وقال ابن مسعود رضي الله عنه قال: (مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً). رواه مسلم

- أن يختار كلماته بعناية فائقة حتى لا تؤخذ كلماته بأكثر من معنى، فيفسرها كلٌّ بما يناسبه وهواه.

وهناك أمران مهمان ينبغي للقائد أن يراعيهما في خطابته، وهما العقدي والسياسي، والعسكري الجهادي.

الأول: الخطاب العقدي والسياسي المتزل (الراشدي):

إن أهم ما يميز القائد في خطابه هذا، العودة به إلى القرنِ الأولِ، خطابِ النبيِّ ﷺ والخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم في إظهار ما جاء به الأنبياء والرُسل من حقيقة التوحيد وإفراد الله تعالى في الخالقية والربوبية والإلوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال والملك والحكم والطاعة والرهبة والخشية والخوف والأمر والولاية على خلقه والعبادة. لشيوع الشرك في هذا المجال في المجتمعات الإنسانية كافة.

إن الإسلام جاء ليبطل ربوبية الملوك ورجال الدين ويُقيمُ للناس الحنيفة السَمحَة، توحيد الله في الخلق، وفي الملك، وفي الربوبية والسيادة والحكم والطاعة والعبادة.

ولعلَّ من صور الشرك المشهورة في عصرِنا: شرك الحاكمية – شرك الطاعة – شرك التشريع – شرك العبادة – شرك المُلك.

إن على القائد أن يُبَيِّن لرعيَّتِه بحسن خطابه ذلك الأمر العقدي؛ فإن الأمة قد توارثت أموراً حَسِبَتْها ثوابت فأقعدَتْ بها عن مصالحها الدينية والدنيوية. وإن من أهم تلك الأمور اعتقادها أن للسلطة الحق المطلق في التصرف بمصالحها وإن كان على حساب دينها، إن هناك قاعدة شرعية بهذا الخصوص هي: إن "الأصل في الإنسان الحرية"، وحق الحريّة السياسية مكفول في شريعة الإسلام، وهناك حق يُدعى: حق الأمة في الرقابة على السلطة؛ وهو أصل من أصول الخطاب السياسي النبوي، فقد تضمن عقد البيعة (وأن نقوم بالحق حيثُما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)، فالأمة هي الرقيب والحسيب على السلطة، فالطاعة للسلطة ليست مطلقة، وليست لذات السلطة، بل الغاية من إقامة السلطة تحقيق العدل والقسط. ومهمة السلطة هو العمل على تحقيق تلك الغاية وفق قواعد شرعية وأصول مرعية ليس هنا مجال ذكرها، وإن على القائد كما بيَّنت أن يتفقه فيها جيِّدًا ثم يضمنها في خطابه ذاك.

الثاني: الخطاب العسكري (الجهادي):

وعلى القائد أن يُراعي في هذا الخطاب، الغاية من الجهاد، وأنه لا يكون من أجل القتال فقط، أو الحصول على الغنائم، أو السبايا من النساء، أو استرقاق الناس، وإنما تعبيد العباد لرب العباد وإخراجهم من الظلمات إلى النور ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد، وعليه أن يُبيِّن مقاصده –مقاصد الجهاد– في خطابه ذاك، وهي : رد العدوان عن النفس والأرض، القتال لنصر المستضعفين في الأرض، والقتال حتى يكون الدين كله لله. وعليه أن يضمنه معنى أنَّ الجهاد مع ما فيه من مشقة على النفس وجهد وبذل –مما تكرهه النفوس بطبيعتها البشرية–، فهو خير كله لما فيه من المصالح الكلية، والأسباب الضرورية لحياة المجتمعات الإنسانية، التي لا تخلو في أي عصر من أعداء للدِّين وأئمة للطغيان يسومون الشعوب سوء العذاب ويفتنون المؤمنين.

وعلى القائد أن يُتْبِعَ تنظيرَهُ هذا عملًا، فيكون في مقدمة صفوف المجاهدين، وهو ما تواترت به الروايات من فعلِ رسول الله وصحابته رضي الله عنهم.

إن هذا الخطاب له أثر كبير في نفوس الرعية والجند، وهو من الأهمية بمكان ، ولا سيما في زمن المعركة وقت لقاء العدوِّ؛ وأذكر مثالًا لذلك خطبة عبد الله بن رواحه في يوم مؤتة، فقد كان المسلمون ثلاثة آلاف رجل، وقد بلغهم أن هِرَقل نزل في مائة ألف جندي من الروم، وانضم إليه من نصارى العرب مائة ألف آخرون، فقال بعض المسلمين: نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يأمرنا بأمره، فنمضي له، فقام عبد الله بن رواحه رضي الله عنه وخطب فقال: يا قوم : والله إن كان الذي تكرهون للذي

خرجتم تطلبون، إنها الشهادة، وما نقاتل الناس بعددٍ ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، إنها إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحه. تاريخ الطبري

إن الفراغ القيادي الذي سببه أعداء الأمة جراء ملاحقتهم القادة وتشويههم سمعتهم –بغض النظر عن ما جلبه بعض أولئك القادة لأنفسهم من حُجَّةٍ للعدو لتشويه سمعتهم ونعتهم بالإرهابيين بسبب بعض الأخطاء كَبُرَت أو صَغُرَت، فليس هنا المجال لذكر ذلك– وقتلهم أو زجهم في السجون قد أعطى المجال للكثير من الجهلة لتقدم الصفوف وإفراغ الجهاد من حقيقته التي بعث عليها محمد ﷺ، وقد بيَّنتُ ذلك في أكثر من موضع.

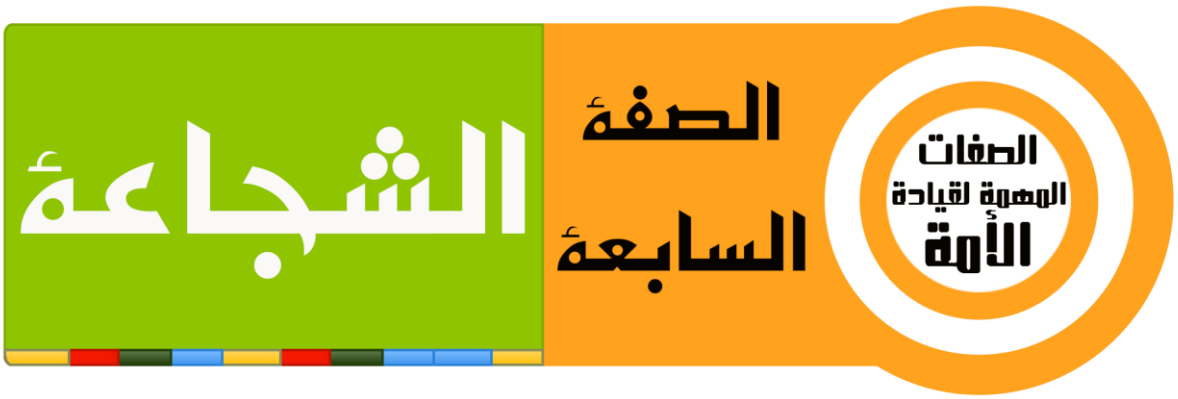

يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ *وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الأنفال:15

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ النساء:76

الشجاعة في اللغة: القوة والجرأة، شدَّة القلب عند البأس، رباطة الجأش.

وفي الاصطلاح: هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يقدم على أمور ينبغي أن يقدم عليها.

الشجاعة خُلُقٌ يعتضد بالإيمان الراسخ واليقين الصادق؛ فهذان من يدفعانه بقوة إلى أعلى درجاته: قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ المائدة:23 ولو تأملنا الآية لوجدنا في ثناياها ذلك المعنى.

إن من المميزات التي لا بد من توافرها في القائد المسلم: الشجاعة، ولو أردنا أن نتأمَّل في معنى الشجاعة المطلوبة في ذلك القائد، لوجدنا أن لها معانٍ رائعة حريٌّ بنا أن نتدبَّرها بل ونتلذذ بها؛ فالشجاعة هي الإقدام في المعارك وغيرها، والجرأة في الحق، والحزم المصاحب لعدم المبالاة بلومِ لائم، على أن يكون جميع ذلك تحت ضابطَين؛ أولهما: أن يكون في سبيل الله عز وجل، وثانيهما: أن يُحَدَّ بحدود ""العلم"" لا الجهل وهوى النفس! وهذا الضابط الثاني لا بُدَّ من الاهتمام به جيِّدًا، فإن ما يحصل في أيامنا من التجرؤ في سفكِ الدماء بغير الحق وغيره مما لا يخفى على أحد قد أساء والله للجهاد والمجاهدين ومن يعملون لإقامة الخلافة الراشدة، فأولئك الجهلاء قد أساؤوا إلى الإسلام من حيث يعلمون أو لا يعلمون! وهنا أمرٌ لا بد من الإشارة إليه، وهو أن الشجاعة لا تكون دائمًا في الشدة كما قد يتبادر دائمًا إلى الأذهان؛ فالعفو عن المسيء، سواء كان عدوًّا غير مسلم أم غير ذلك –على أن يكون ذلك في موضعه– من الشجاعة بل واليقين بمعية الله ونصره وتأييده؛ ولنأخذ لذلك مثلًا: أميرٌ مسلم، أمكن اللهُ تعالى جندَه –في معركة ما– من أسر من له مكانة في قومه، فأصبح أمر ذلك العدوّ إليه، فإذا بالعدو يستسمح من ذلك الأمير ويَعِدُهُ في حال فكاك أسره على عدم إعانة أحد عليه .... فلو تعمَّق أحد جهلاء عصرنا بالموقف ذاك لاستبعد أمر العفو والفكاك بحُجَّة "الغدر"، فبالله عليكم، من هو في أعينكم أشد شجاعةٍ وصلابةً؟ ذلك الذي كانت شجاعته ممزوجة برحمته –التي لم ينسها حتى وهو يقاتل أعداء الله؛ فهو لم ينس الهدف من قتال الناس والذي أُرْسِلَ من أجله رسوله!– وبعلمه وفقهه التام بالدين وسيرة رسوله ﷺ في مثل هذه المواقف ومن بعده صحابته وآل بيته ﷺ، نعم هو استجاب لهذا طلبه ودافَع ما قد يتبادر إلى الأذهان في مثل هذه الحالة من خشية الغدر، وما كان ذلك إلا احتسابًا في سبيل الله وثقة تامة بالله تعالى وبمعيته بل وبتأييده إن كان ذلك العدو ينوي الغدر حقًّا ما دام قد جمع تلك الأمور من كونه يعمل على بصيرة من دينه وكونه لا يبتغي بذلك سوى وجه الله تعالى وإعطاء الصورة الحسنة للإسلام؛ فهو يدرك إدراكًا جازمًا أن الله هو الفاعل وهو المدبِّر وهو الناصر وهو البصير بعدوِّه المحيط به، أمره أن يسلك طريقةً معيَّنة لهدفٍ سامٍ ثم أمَره أن يتوكل عليه فهو ناصره حتمًا، قال تعالى:﴿ وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الأنفال:62، فهل هذا أشدُّ شجاعةً في نظركم وأكبر في أعينكم وأحب إلى قلوبكم وأجدر بالاحترام أم ذلك القائد الذي لا يأخذ إلا بالظنة فيقتل بحجة التنبه واليقظة وما درى أن الأحكام لا تؤخذ بالظنة فهلا شقَّ عن قلبه ليرى هل صدق أم ينوي الغدر! وهل يجني بقتله سوى مخالفة ما جاء به الرسول الرحيم ﷺ وتشويه صورة الإسلام وتنفير الناس عنه؟ والله لا أرى ذلك سوى ضعفًا في إيمانه وقلةً في توكله ويقينه واتصاله مع الله. لذلك فإني أيها الأخوة أشدِّدُ على أن تختاروا قائدًا مُتصفًا بكل ذلك كي لا تُسيئوا إلى دينكم وأنتم لا تعلمون. وأقول لكم: فليكن ولاؤكم لله ورسوله لا الأشخاص والمُسميات، لا تُخْدَعوا بالشعارات واصبروا حتى يخرج إليكم من ترضون منه صدقه وحُسن اتباعه لرسول الله ﷺ، لا تحملنكم الحماسة وشدة البلاء الذي يصيب المسلمين أن تلحقوا بأيٍّ كان! يرفع شعار الدين والدينُ منه براء! تفقهوا في دينكم، ولا تفتنوا أنفسكم ولا تخذلوا دينكم وأنتم تظنون أنكم تنصروه. وأقول للقادة: اتقوا الله في ديننا وليكن قدوتكم رسول الله ﷺ الذي كان يحب الرفق،كما

قالت أمنا عائشة (رضي الله عنها): (ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه" رواه البخاري ومسلم ، وقالت رضي الله عنها: (ما ضرب رسول الله ﷺ بيده شيئا قط، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل" رواه مسلم ، فكان (صلوات ربي وسلامه عليه) شجاعًا شديدًا في الموطن الذي ينبغي أن يكون كذلك، رحيمًا رفيقًا لينًا في الموطن الذي لا يستوجب الشدة، فاتعظوا وتدبروا.

والآن وبعد ذكر ما رأيت حتمية الإشارة إليه من ضابط الشجاعة، أُعَرِّجُ على وصفٍ مُبهرٍ من زاويةٍ أخرى لشجاعة رسول الله ﷺ الذي كان له أعظم الحظ بل وأتمَّه من ذلك الخُلُق، كيف لا وهو سيد ولد آدم، كان صحابته ﷺ إذا حمي الوطيس في القتال احتموا به صلوات ربي وسلامه عليه، كان أقرب الناس للعدو، ثابت الخُطى، يُثبِتُ صحابته، ويَشُد من آزرهم، ويرفع معنوياتهم، لا يهمه كثرة عدوه، ولا كثرة عدته، وهو ما قد زرعه في صحابته ﷺ. وإذا أردت أن أذكر مواقفه جميعها ﷺ لاحتجتُ إلى مُجلدات، ولكني أستشهد هنا بموقفين اثنين من مواقفه عليه السلام للتذكر:

روى أنس رضي الله عنه أن أهل المدينة فزعوا ذات ليلة فانطلق ناسٌ قِبَلَ الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرسٍ لأبي طلحة بن عري، في عنقه السيف وهو يقول: (لم تراعوا لم تراعوا). رواه البخاري ومسلم

روى أبو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ البَرَاءَ، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَكُنْتُمْ فَرَرْتُم يَا أَبَا عُمَارَةَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لاَ وَاللَّهِ، مَا وَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنَّهُ خَرَجَ شُبَّانُ أَصْحَابِهِ، وَأَخِفَّاؤُهُمْ حُسَّرًا لَيْسَ بِسِلاَحٍ، فَأَتَوْا قَوْمًا رُمَاةً، جَمْعَ هَوَازِنَ، وَبَنِي نَصْرٍ، مَا يَكَادُ يَسْقُطُ لَهُمْ سَهْمٌ، فَرَشَقُوهُمْ رَشْقًا مَا يَكَادُونَ يُخْطِئُونَ، فَأَقْبَلُوا هُنَالِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَابْنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَقُودُ بِهِ، فَنَزَلَ وَاسْتَنْصَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ» ، ثُمَّ صَفَّ أَصْحَابَهُ. رواه البخاري

وهنا لا بُد من ذكر شجاعة الغرس الذي غرسه رسولنا الكريم ﷺ في صحابته رضي الله عنهم وعلماء الأمة، وأبدأ بـــــــــــ:

– *ربعي بن عامر رضي الله عنه:*

أرسَلَ سعد رضي الله عنه قِبَلَ القادسية ربعي بن عامر إلى رُستُم قائد الجيوش الفارسية وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابى الحرير وأظهر اليواقيت واللآلئ الثمينة، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على سرير من ذهب ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضه على رأسه فقالوا له ضع سلاحك، فقال إني لم آتكم وإنما

جئتكم حين دعوتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت، فقال رستم ائذنوا له فأقبَل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخرق عامتها فقالوا له ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنُخرِجَ من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله .. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قَبِلَ ذلك قَبِلنَا منه ورجعنا عنه ومن أَبَى قاتلناه أبداً" البداية والنهاية لابن كثير

فهذه الشجاعة التي لم يهب بها الجاه ولا السلطان ولا الجيوش ذات القوة ولكنها شجاعة وقوة الحق المُطلق المؤيد من الله

– *أبو بكر* رضي الله عنه:

وان كنت قد أوردت القصة في باب الحزم ولكني أعيدها هنا، فالقصة فيها الكثير من العبر والمواعظ، ويستفاد منها في أكثر من جانب. فقد وقف رضي الله عنه صامدًا، صلبًا، قويًا، واثقًا بمعية الله عز وجل، في حروب المرتدين ومانعي الزكاة، فَثَبَّتَ أركان الدولة وحماها وحافظ عليها من التفكك والانقسام. حتى قال له بعض المسلمين: يا خليفة رسول الله ﷺ لا طاقة لك بحرب العرب جميعًا.. الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين!! ولكن الرجل البكّاء اللين الرقيق رحيم القلب، ينقلب في لحظة إلى أسدٍ ثائر، يصيح في عمر بن الخطاب: أجبّار في الجاهلية، خوار في الإسلام؟ لقد تم الوحي واكتمل.. أفينقص الدين وأنا حي؟ والله لو منعوني عقال بعيرٍ كانوا يُؤدونَهُ لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: (خطبنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال:أيها النَّاس، أخبروني بأشجع النَّاس، قالوا: لو قلنا أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع النَّاس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر الصديق، إنّا لما كان يوم بدرٍ جعلنا لرسول الله ﷺ عريشًا فقلنا: من يكون مع النَّبي ﷺ لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، وهذا أشجع النَّاس، قال علي: فلقد رأيت رسول الله ﷺ أخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، قال: فوالله ما دنا منه إليه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلُكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، ثم رفع عليٌّ بردة كانت عليه فبكى حتى أخضل لحيته، ثم قال علي: أنشدكم الله، أمؤمنُ آل فرعون خير أم أبو بكر؟ قال: فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه). مسند البزار

– *الفاروق* رضي الله عنه:

بعد إسلامه مباشرة يُظهر شجاعته وجرأته في رغبته في الصدع بالإسلام ومواجهة المشركين في مكة بعد أن كان المسلمون لا يخرجون للناس إلا سراً، قال: يا رسول الله علام نُخفي ديننا ونحن على الحق ،وهم على الباطل فقال: رسول الله ﷺ: "إنا قليل وقد رأيت ما لقينا". فقال عمر: والذي بعثك بالحق لا يبقى مجلسٌ جلستُ فيه بكفر إلا جلست فيه بالإيمان؛ ثم خرج الرسول ﷺ إلى الكعبة في صفّين من المسلمين في أحدهما حمزة وفي الآخر عمر" القصة اخرجها أبو نعيم وابن عساكر وابن الجوزي. وعندما أراد أن يُهاجر أعلن على الملأ من قريش: من شاء أن تثكله أمه، ويبتم ولده فليلقني خلف هذا الوادي، فما استطاع أحد أن يتتبّعه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر). القصة اخرجها ابن عساكر وابن الأثير.

– ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ويعتبر عثمان رضي الله عنه من أشجع الصحابة فقد شهد المشاهد كلها إلى جانب النبي ولم يتأخر عن أي معركة من معارك المسلمين إلا في معركة بدر عندما لزم أمر النبي رضي الله عنه بالبقاء إلى جانب رقية بنت النبي رضي الله عنها لمرضها وتظهر قمة شجاعة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه عندما حُوصر في بيته ويرى الموت أمام عينيه ويعرف أنه يستطيع دفع الموت عنة بكلمة واحدة وهى أن يتخلى عن خلافة المسلمين ولكنة يرفض هذا وهو يعرف أنه الموت ينتظره ولا من يُدافع عنة وليس حوله حرسٌ واستخبارات، يرفض أن يترك أمر وهو ليس أمر من الله أو تعين من الله لم يفعل التقية من أجل حياته وخلافته أو من أجل أن يعيش فقط، ضُرب وجُرح قبل مؤتة ولم يتنازل عن شيء حاصره العطش والموت في وقت واحد ولم يتنازل، ولم يُقتل مباشرة بل أعطوه الخيار إما الموت أو ترك الخلافة ولكنة لم يترع البيعة عن نفسه لم يَدعُ أحداً ليدافع عنه حقناً لدماء المسلمين وضحى بنفسه رضي الله عنه.

– علي ابن أبي طالب رضي الله عنه:

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه في سياق ذكره ليوم خيبر أن النبي ﷺ قال: عَنْ سَلَمَةَ، قَالَ: كَانَ عَلِيٌّ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ، وَكَانَ بِهِ رَمَدٌ، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ فَلَحِقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ مَسَاءُ اللَّيْلَةِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ فِي صَبَاحِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ، أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ، غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ" فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ"، وخرج مَرحَب فقال: قد

علمت خيبر أني مَرحَبُ .. شاكي السلاح بطلٌ مجربُ إذا الحـــــــــــــــــــروب أقبلت تلهبُ. فقال علي ﷺ: أنا الذي سمتني أمي حيدره .. كليثِ غاباتٍ كريه المنظره أوفيهم بالصاع كيل السندره. قال فضرب رأس مَرحَب فقتلهُ ثم كان الفتح على يديه. رواه مسلم

– خالد بن الوليد ﷺ:

كانت غزوة مؤتة أول غزوة شارك فيها خالد، وقد قُتِلَ قادتها الثلاثة: زيد بن حارثة، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة ﷺ، فسارع إلى الراية (ثابت بن أقرم) فحملها عالياً وتوجه مسرعاً إلى خالد قائلا له خذ اللواء يا أبا سليمان، فلم يجد خالد أن من حقه أخذها فاعتذر قائلا لا، لا آخذ اللواء أنت أحق به، لك سن وقد شهدت بدراً)، فأجابه ثابت خذه فأنت أدرى بالقتال مني، ووالله ما أخذته إلا لك) ثم نادى بالمسلمين أترضون إمرة خالد ؟ قالوا نعم فأخذ الراية خالد وأنقذ جيش المسلمين. يقول خالد قد انقطع في يدي يومَ مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة لي يمانية" رواه البخاري، وقال النبي ﷺ عندما أخبر الصحابة بتلك الغزوة أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ الراية جعفر فأصيب، ثم أخذ الراية ابن رواحة فأصيب، وعيناه ﷺ تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتى فتح الله عليهم، فسمي خالد من ذلك اليوم سيف الله. رواه البخاري

- دوره ﷺ في حروب الردة: شارك في فتح مكة وفي حروب الردة، فقد مضى فأوقع بأهل الردة من بني تميم وغيرهم بالبُطاح، وقتل مالك بن نويرة، ثم أوقع بأهل بُزاخَة – وهي المعركة التي كانت بين خالد وطليحة بن خويلد–، وحرقهم بالنار، وذلك أنه بلغه عنهم مقالة سيئة، شتموا النبي ﷺ، وثبتوا على ردّهم، ثم مضى إلى اليمامة ووضع حداً لمُسيلمة الكذاب وأعوانه من بني حنيفة.

وكان دور القائد الشجاع يتجلى في معركة اليرموك حين أولى أبو بكر الصديق إمرة جيش المسلمين لخالد بن الوليد ليواجهوا جيش الروم الذي بلغ مائتين وأربعين ألفا، فوقف خالد بجيش المسلمين خاطباً: إن هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم، وتعالوا نتعاور–أي نتداول–الإمارة، فيكون أحدنا اليوم أميراً والآخر غداً، والآخر بعد غد، حتى يتأمر كلكم.

لقد كان حقًّا خطابًا قويًّا استطاع أن يرفع به معنويات جنده، ويشد من أزرهم، ويزرع في قلوبهم تحمل المسؤولية؛ فقد جعل في حسبانهم كون إمارة الجيش ستنتقل لأي منهم ليكونوا على أهبة الاستعداد لمثل هذا التكليف، وهكذا فإن التربية القيادية لأبناء المسلمين وشبابهم مطلوبة منذ نعومة أظفارهم، فهم قادة المستقبل الذين سوف يقومون على أمر الله وإقامة شرعه ونشر دينه.

وقبيل بدء القتال طلب قائد الروم أن يبرز إليه خالد، فبرز إليه في الفراغ الفاصل بين الجيشين، فقال (ماهان) قائد الروم: قد علمنا أنه لم يخرجكم من بلادكم إلا الجهد والجوع فإن شئتم أعطيت كل واحد منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاما، وترجعون إلى بلادكم، وفي العام القادم أبعث إليكم بمثلها، أدرك خالد ما في كلمات الرومي من سوء الأدب فردَّ قائلا: إنه لم يخرجنا من بلادنا الجوع كما ذكرت، ولكننا قوم نشرب الدماء، وقد علمنا أنه لا دم أشهى ولا أطيب من دم الروم، فجئنا لذلك. وإن هذا الرد ليشهد بشدة بأس هذا القائد وشجاعته وجرأته على الكفار، إذ إنه لم يهب كثرة عددهم أو عدتهم بل جعلهم هم من يُزَلزَلون بردَّه الشديد الوقع فخارت عزائمهم! وعاد بجواده إلى صفوف الجيش ورفع اللواء عالياً مؤذناً بالقتال الله أكبر ، هبي رياح الجنة! وبسبب تلك القيادة الفذة والثبات الراسخ وشجاعة القائد الحكيم تم النصر بفضل الله تعالى. وحين وصل خبر وفاة أبي بكر ﷺ وتولي الأمر عمر ﷺ وأنه ولى القيادة أبا عبيدة بن الجراح ﷺ بدلًا منه تجلت شجاعته ﷺ مرة أخرى عندما تنازل عن الإمارة وهو منصور؛ فلم يغتر بنفسه ويقول أنا من حقق النصر وأنا أحق بالقيادة، ولكن تنازل في رضا لأنه كان يُقاتل لله وحده لا يبغي من وراء ذلك أي أمر من أمور الدنيا، كان يُقاتل من أجل أن يُعبَدَ الله وحده في الأرض ويُحكم بشرعه! هذه هي شجاعة القادة الذين يلتزمون بأوامر أمرائهم ويطيعونهم في مرضات الله. ومن المؤسف اليوم أن نجدَ الكثير ممن يدّعون أنهم على خُطى السلف يعصون أمر الأمير ويشقون جماعة المسلمين بل ويَدْعُونَ إلى فرقة الأمة وتفريق الجماعة المسلمة من أجل شهوة الإمارة ونسوا أنها سوف تأتي يوم القيامة حسرة وندامة.

إن شجاعة خالد ﷺ كانت فريدة من نوعها عبر التاريخ وإن العالم اليوم يُدرِسُ خُطَطَه العسكرية في الكليات العسكرية.

– فتيان الصحابة وعبد الرحمن بن عوف ﷺ:

قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: "إني لفي الصف يوم بدر، إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن، فكأن يلم آمن بمكانهما، إذ قال لي أحدهما سرًّا من صاحبه: يا عم: أريني أبا جهل، فقلت: يا ابن أخي ما تصنع به؟ قال: عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه؟ وقال لي آخر سرًّا من صاحبه مثله قال: فما سرني أنني بين رجلين مكانهما، فأشرت لهما إليه، فشدا عليه مثل الصقرين، فضرباه حتى قتلاه، وهما ابنا عفراء". رواه البخاري

وهكذا ينبغي أن نُربي أبناءنا، أن نجعل حميَتَهُم لدينهم ونبيهم وللمؤمنين، وأن نزرَعَ في قُلوبِهِم حُبُ الجهاد في سبيل الله. فهذا من الإعداد الذي أمرنا الله تعالى به حين قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال:60، و"القوة" في قوله {من قوة}: الرمي، هكذا فسرها رسول الله ﷺ؛ فقد روى مسلم عن عقبة بن عامر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ:﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ". ولا يُفهمُ من قوله ﷺ هذا تقييد عموم القوة الواردة في الآية، ولكن يُحمل ذلك على أن الرمي أشهر وأعظم هذه القوى. ويأخذ حكم الرمي بالقوس في أيامنا هذه

الرمي بغيره من آلات الحرب الحديثة والتي غالبًا ما تحتاج إلى تعاهد وطول معالجة، وهو ما يتطلبه حتمًا الإعداد بصورة عامة كما الرمي بالقوس يحتاج لذلك. وهذا ما نفتقده اليوم ونحن أحوج ما نكون إليه، فإن الأمة لن تجد لها مخرجًا مما هي فيه إلا إذا عادت إلى طريقة نبيها صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم، أولئك الصحابة الذين لم تأتِ مواقفهم إلا نتاج تربيته صلوات ربي وسلامه عليه فحفظ الله بهم الدين وفتح بهم البلاد.

مواقف من بعض العلماء:

إن الأمة ملأى بالعلماء الشجعان الذين لم يرضوا لأنفسهم سكوتًا على باطل، فوقفوا مواقف كم نحن اليوم بحاجة لمثلها لإزهاق الباطل وإظهار الحق للناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، تلك الظلماتُ التي أدخلهم فيها طواغيت العصر من الحكام المستبدين، ظلماتٌ اشد من ظلمات البحر في ليل شديد الظلمة، فسلخوهم من النور الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.

ونذكر من هؤلاء العلماء:

– أحمد بن حنبل رحمه الله:

فقد عُذب وسُجن فيما يسمى في التاريخ بفتنة خلق القرآن، ولكنه ثبت على موقفه ولم يتزحزح عنه، وبشجاعته في مواجهة الباطل وثباته كان له الفضل على الأمة اليوم انها ثبتت على العقيدة السليمة جزاه الله عنا خير الجزاء.

– شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله):

أداه اجتهاده إلى مخالفة فقهاء عصره في بعض المسائل فوشوا به إلى السلطان فسجنه، فظل يكتب الرسائل في سجنه يؤيد بها مذهبه ويدحض بها حجج معارضيه.

– العز ابن عبد السلام (رحمه الله):

من مواقفه الشهيرة والتي اصطدم فيها مع الملك أيوب نفسه، أنه لما عاش في مصر اكتشف أن الولايات العامة والإمارة والمناصب الكبرى كلها للمماليك الذين اشتراهم نجم الدين أيوب قبل ذلك، ولذلك فهم في حكم الرقيق والعبيد، ولا يجوز لهم الولاية على الأحرار، فأصدر مباشرة فتواه بعدم جواز ولايتهم لأنهم من العبيد، واشتعلت مصر بغضب الأمراء الذين يتحكمون في كل المناصب الرفيعة، حتى كان نائب السلطان مباشرة من المماليك، وجاءوا إلى الشيخ العز بن عبد السلام، وحاولوا إقناعه بالتخلي عن هذه الفتوى، ثم حاولوا تهديده، ولكنه رفض كل هذا مع إنه قد جاء مصر بعد اضطهاد شديد في دمشق، ولكنه لا

يجد في حياته بديلاً عن كلمة الحق، فرفع الأمر إلى الملك أيوب، فاستغرب من كلام الشيخ، ورفضه، وقال إن هذا الأمر ليس من الشؤون المسموح بالكلام فيها، فهنا وجد الشيخ العز بن عبد السلام أن كلامه لا يسمع، فخلع نفسه من منصبه في القضاء، فهو لا يرضى أن يكون صورة مُفتٍ، وهو يعلم أن الله عز وجل سائله عن سكوته كما سيسأله عن كلامه، و هنا ظهرت شجاعة الشيخ العز بن عبد السلام وقرر العالم الورع أن يعزل نفسه من المنصب الرفيع، ومضحياً بالوضع الاجتماعي وبالمال وبالأمان بل وبكل الدنيا..وركب الشيخ العز بن عبد السلام حماره، وأخذ أهله على حمار آخر، وببساطة قرر الخروج من القاهرة بالكلية، والاتجاه إلى إحدى القرى لينعزل فيها إذا كان لا يُسمع لفتواه، ولكن شعب مصر المقدّر لقيمة العلماء رفض ذلك الأمر، وخرج خلف الشيخ العالم الآلاف من علماء مصر ومن صالحيها وتجارها ورجالها، بل خرج النساء والصبيان خلف الشيخ تأييداً له، وإنكاراً على مخالفيه ..ووصلت الأخبار إلى الملك نجم الدين أيوب فأسرع بنفسه خلف الشيخ العز بن عبد السلام واسترضاه، فما قبل إلا أن تُنفذ فتواه، وقال له إن أردت أن يتولى هؤلاء الأمراء مناصبهم فلابد أن يباعوا أولاً، ثم يعتقهم الذي يشتريهم، ولما كان ثمن هؤلاء الأمراء قد دفع قبل ذلك من بيت مال المسلمين فلابد أن يرد الثمن إلى بيت مال المسلمين، ووافق الملك أيوب ونزل عند رأي الشيخ الشجاع الذي لم يخشي الله لومة لائم ، وتولى الشيخ العزّ بن عبد السلام بنفسه عملية بيع الأمراء حتى لا يحدث نوع من التلاعب، وبدأ يعرض الأمراء واحداً بعد الآخر في مزاد، ويغالي في ثمنهم، ودخل الشعب في المزاد، حتى إذا ارتفع السعر جداً، دفعه الملك نجم الدين أيوب من ماله الخاص واشترى الأمير، ثم يعتقه بعد ذلك، ووضع المال في بيت مال المسلمين، وهكذا بيع كل الأمراء الذين يتولون أمور الوزارة والإمارة والجيش وغيرها، ومن يومها والشيخ العز بن عبد السلام يُعرف "ببائع الأمراء!".

– سيد قطب (رحمه الله):

حين حاول النظام إثناءه عن رأيه المخالف لجمال عبد الناصر قال قولته الشهيرة: "إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، ليرفض أن يكتب حرفًا يُقرُ به حُكم طاغية"، وكم من شيخٍ وعالم سُجِن في سجون الطواغيت في عصرنا هذا من أجل قولة الحق.

– أسامة بن لادن (رحمه الله):

الذي أصبح مطاردًا ومطلوبًا لملة الكفر والأنظمة الطاغوتية التي تعمل كلاب حراسة عند البيت الأسود، أسأل المولى أن يتقبله مع الشهداء.

ولو أردنا أن نكتب عن أولئك الرجال الشجعان الذين سُجنوا وقُتلوا من أجلِ نُصرة دين الله عبر التاريخ فلا أعتقد أننا سوف نُحصيهم؛ فهم أكثر من أن يكتبوا في كتب ومجلدات، اسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم ممن يقومون على أمر الله ويدعون إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأخيرًا أقول: إن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، والشجاعة صِفةٌ لا يتحلى بها إلا الأقوياء الذين يعتزون بدينهم، ولا يجعلون الخور والضعف ديدنهم، ولا يركنون إلى دنيا زائلة. فالشجاعة تنمو وتكبر مع الإنسان مثل النبتة كلما اهتم بها صاحبها ورعاها وأعطاها حقها كلما كبرت معه وعظمت وعظم شأن صاحبها.

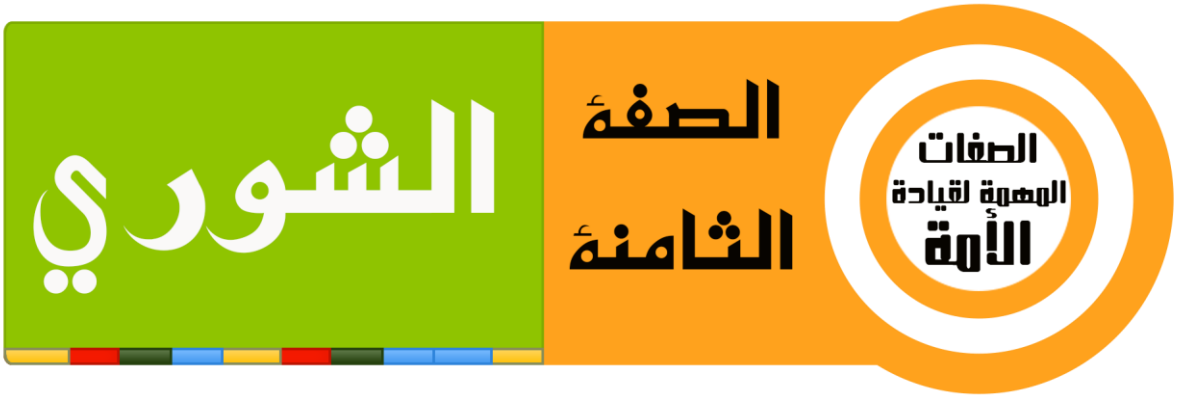

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ آل عمران:159.

الشورى لغةً: هي المشورة، يقال: صار هذا الأمر شورى بين القوم، إذا تشاوروا فيه، والمعنى: أنهم يتشاورون فيما يبدو لهم، ولا يعجلون في الأمر.

أما اصطلاحًا: فهي أساس الحُكم في الإسلام، وبها أمَرَ الله تعالى رسوله ﷺ في الأمور التي تتعلق بأمور الحياة والدولة، لا في شأن الوحي والتشريع، وما يأتي من عند الله.

إن الشورى من الأمور الأساسية في حياة القائد المسلم؛ فهي أصلٌ من أصولِ الإسلام في سياسة المجتمع وأمور الحكم وإدارته، شرعها الله تعالى في كتابه العزيز وأمر بها نبيه ﷺ مرتين، في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ الشورى:38، وروى الشافعيُّ أن أبا هريرةَ رضي الله عنه قال: "ما رأيتُ أحدًا قطُّ كان أكثرَ مشورةً لأصحابِه من رسول الله ﷺ، ما يدل على عِظَمِ أهميتها بالنسبة للقائد والأمة معًا، ولَعلي أُبيِّنُ بعضًا من تلك الأهمية مما يفتح الله تعالى عليَّ:

- إنها تُجَنِّبُ القائد ما يترتب على الانفراد بالرأي من الكبر والغرور والعجب؛ فإن المنفرد بالرأي مُعجَبٌ برأيه، يَحسَبُ أن الله تعالى اختَصَّه بهداه وسداده دون المؤمنين؛ وأنه هو المؤيَّد وغيره مخذول. وهذه والله من المُهلكات؛ قال رسول الله ﷺ: "ثلاثٌ من المهلكات" وذكرَ منها: "إعجابُ المرءِ برأيه"((رواه البزار في مسنده عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، أما مردود ذلك على الأمة فسيئٌ كذلك؛ فإن الفعلَ المترتبَ على ذلك الرأي ممحوقُ البَرَكة بعكس ما إن كان مترتبًا على شورى فإن الله تعالى يُبارِكُ فيه.

- تُجَنِّبه بغض رعيته له وحنقهم عليه، فإنَّ حصول الانفراد بالرأي من قِبَلِ القائد يرفَع من قلوب المسلمين الشعور بالانتماء لهذه الأمة، فلا يُبالون بما قد يطرأ عليها من شرور ومخاطر وذلك أنهم ليس لهم في الأمر شيء! فيكون ذاك وهنٌ له ولجماعة المسلمين.

وأما عكس ذلك فقُوَّةٌ وتوفيق وسَداد؛ فإن الشورى ترقى بالأمة والمجتمع نحو الأعلى، فتتوحد القلوب والجهود، ويحصل التعاون على البِرِ والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...الخ.

- وقد يتحمل القائدُ الإثمَ في انفراده برأيه وإن كان صاحب نيَّة صالحةٍ إن كان الحقُّ في غيرِ ما قال.

- إن الشورى تنهي الاستبداد والظلم والاستخفاف بالعباد، وإن الأخير من شيم الفراعنة؛ قال تعالى:﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ الزخرف:54، وأما المصلحون فهم يوقرون الإنسان ويكرمونه كما كرمه الله.

لذلك فقد كانت الشورى واجبة في حق الإمام وملزمة له –إلا ما جاء به نص قطعي الدلالة قطعي الثبوت–لأنه هو من وكل بتلك الأمور.

وقد أُثِرَ عن عمر ﷺ قولًا جامعًا مانعًا في حقيقة الشورى وأهميتها؛ فقد روي أنه ﷺ قال في أول خطبة له بعد توليه الخلافة: (أمّا وقد ابتلاكُمُ اللهُ بي وابتلاني بكُم، فاعلَمُوا أنّي لن أحتملَهَا وحدي حتى أشرِكَكُم فيها فتكونُوا بعضَ حُجَّتي عند ربِّي؛ أقولُ قد شاورتُكُم في الأمرِ على ما أُمِرتُ به، وقد كان رسولُ الله ﷺ فينا والوحيُ يتَنَزَّلُ عليه بأمرِ السماءِ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، ومع ذلك فقد أمرَ رسوله بالشورى وهو المؤيَّد بالوحي فكيف بنا وليس لأحدٍ من العصمة كما كان رسولُ اللهِ؟ وإنَّما نحنُ من الناسِ، نجتهدُ برأينا فنُخطِئ ونُصيبُ. وإنَّ الرجلَ إذا استبدَّ بالرأي فأخطأ وعزَّتْ عليه النفوسُ وتربَّصَت به الدوائرُ، فكان أوهن له ولجماعةِ المسلمينَ..

أما إذا رأت الجماعةُ رأيًا ثم تبيَّن لها الخطأَ فيما رأتْ، فإنها ترجعُ عنه جماعة وقد بَرِئَ أحدُهم من التهمة فكان أوثَقُ للجماعةِ والوالي معًا.. وإنه لا خيرَ في أمرٍ أُبرِم من غيرِ شورى، والرأيُ الفردُ كالخيطِ السحيق يوشك أن ينقطع، والرأيان كالخيطين المبرَمين، والثلاثة حبلٌ لا يكادُ ينتقض...).

وينبغي للقائد أن يختار لتلك الشورى من عُرِفَ علمُهُ وتقواه وصِدقُه وجرأتُه في الحقِّ، وتَرَجَّحَتْ فِطنَتُهُ، وتَجرَّدَ من العصبيَّةِ وهوى النفسِ؛ فلا يجعلها في من هو خِلافُ ذلك، وعليه أن لا يُؤثِرَ أفرادَ جماعةٍ من المسلمين على سواهم؛ فقد علِمَ الجميع ما وصَلَهُ حالُ أُمَّتنا من انقسامات وما نَتَجَ عن ذلك من أَثَرَةٍ بالرأيِ وغيره، لذلك فإن القائد المُحَنَّكَ هو من يحاولُ أن يختار من كُلٍّ من تلك الجماعات من يَتَّصِفُ بما بَيَّنْتُ أعلاه، وكذلك من عامَّة المسلمين ليخْرُجوا بأمرٍ يكونُ مُؤيَّدًا، مُسَدَّدًا بإذن الله تعالى، لا يملِكُ أحدٌ من المسلمين معارضتَه.

وقد أرسى رسول الله ﷺ الشورى في كثيرٍ من الحوادثِ في السلم والحرب، فمن مواقفه ﷺ في ذلك:

– مشاورته أصحابه في غزوة بدر في أمرِ الخروج لملاقاة العدو واختيار المكان الذي يترلون فيه، فقال ﷺ قولته المشهورة: "أشيروا عليَّ أيُّها الناس"، ثم تحرك عليه السلام بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر، ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه، فترل عند أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحُبَاب بن المنذر ـــكخبير عسكري ـــ وقال: يا رسولَ الله! أرأيت هذا المترل، أمَترِلًا أنزلَهُ اللهُ، ليس لنا أن نتقدَّمَهُ ولا نتأخرَ عنه، أم هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ؟! فقال ﷺ:(بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدةُ، فقال الحُبَاب: يا رسول الله! إن هذا ليسَ بمترلٍ، فانهضْ بالناسِ حتى نأتيَ أدنى ماء من القوم أي جيش المشركين– فنترله ونغوِّر (نخرب) ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً، ثم نقاتل القومَ فنشربُ ولا يشربون، فقال ﷺ: (لقد أشرتَ بالرأي"، فأخذ عليه السلام برأي الحباب ومشورته، ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو، فترل عليه ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار. (من سيرة ابن هشام).

– مشاورته ﷺ أصحابه في أسرى بدر؛ فقد أخرج مسلم من حديثِ عُمر رضي الله عنه في قصَّة بدر، وفيه: "واسْتشار رسولُ الله ﷺ أبا بكْرٍ وعليًّا وعمر رضي الله عنه فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العمِّ والعشيرة والإخوان، وإنِّي أرى أن تأخُذ منهم الفدية فيكون ما أخذْناه قوَّة على الكفَّار، وعسى أن يهدِيَهم الله فيكونوا لنا عضدًا، فقال رسول الله ﷺ: ((ما ترى يا ابنَ الخطَّاب؟)) قال: قلتُ: والله، ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تُمكِّنَني من فلانٍ– قريبٍ لعمر– فأضرب عنقَه، وتمكِّن عليًّا من عَقيل فيضرب عنقَه، حتَّى يعلم الله أنَّه ليست في قلوبنا هوادة للمُشركين، وهؤلاء صناديدُهم، وأئمَّتهم وقادتهم.

فهوى رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلت، وأخَذ منهم الفِداء، فلمَّا كان من الغَد، قال عمر: فغدوتُ إلى رسول الله ﷺ وأبي بكر، وهُما يبكِيان، فقلت: يا رسول الله، أخبِرْني ماذا يُبكيك أنتَ وصاحبك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيْتُ، وإن لم أجِد بكاء تباكيْتُ لبكائِكما، فقال الرَّسول ﷺ: (للَّذي عرض عليَّ أصحابُك من أخذِهم الفداء، قد عُرض عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرة)– شجرة قريبة– وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال:67

مشاورته ﷺ أصحابه في غزوة أُحد، قال ﷺ: ((إنِّي قد رأيتُ والله خيرًا، رأيت في ذباب سيْفي ثلمًا، ورأيتُ أني أدخلتُ يدي في درْعٍ حصينة فأوَّلتُها المدينة، فإن رأيتُم أن تُقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ مُقام، وإن هم دخلوا علينا، قاتلْناهم فيها)، وكان رأْي عبد الله بن أبي بن سلول مع رأْي رسول الله ﷺ يرى رأيَه في ذلك وألا يخرج إليْهم، وكان رسولُ الله ﷺ يكره الخروج. فقال رجالٌ من المسلمين ممَّن أُكرم بالشَّهادة يوم أُحُد وغيره ممن فاته بدر: يا رسول الله، اخرجْ بنا إلى أعدائنا، لا يرون أنَّا جبنَّا عنْهم وضعفْنا، فقال عبد الله بن أبي بن سلول: يا رسول الله، أقِم بالمدينة لا تَخرج إليْهم؛ فوالله ما خرجْنا منها إلى عدوٍّ لنا قط إلا أصاب منَّا، ولا دخلها علينا إلا أصبْنا منه، فدعْهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ محبس، وإن دخلوا قاتَلهم الرِّجال في وجوهِهم، ورماهم النِّساء والصِّبيان بالحجارة من فوقِهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا، فلم يزَل الناس برسول الله ﷺ الذين كان من أمْرِهم حبٌّ لقاء القوم حتَّى دخل رسول الله ﷺ بيتَه فلبس لأمَتَه، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصَّلاة، وقد مات في ذلك اليوْمِ رجلٌ من الأنصار، يُقال له مالك بن عمرو، فصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ ثُمَّ خرج عليْهم وقد ندِم النَّاس، وقالوا: استكرهْنا رسول الله ﷺ ولم يكُن لنا ذلك، فلمَّا خرج عليْهم رسول الله ﷺ قالوا: يا رسولَ الله استكرهناك ولم يكُنْ لنا ذلك، فإن شئت فاقْعُد ﷺ فقال رسولُ الله ﷺ: (ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمَتَه أن يضعها حتى يُقاتل)، فخرج رسولُ الله ﷺ في ألْفٍ من أصحابه. (سيرة ابن هشام)

مشاورته ﷺ أصحابه في غزوة الخندق، فقال سلمان الفارسي رضي الله عنه (يا رسول الله ، إنا كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا " ، فوافقه وأقره (عليه الصلاة والسلام) وأمر بحفر الخندق حول المدينة، وتمّ تقسيم العمل بين الصحابة ... ثم بدأ العمل بهمّة وعزيمة على الرغم من برودة الجوّ وقلة الطعام وكثرة الأعداء المحاصرين لهم). (الرحيق المختوم)

وقد أرسى الصحابة رضي الله عنهم من بعده عليهم السلام مفهوم الشورى حين تم اختيار أبي بكر الصديق للخلافة؛ فإن للأمة حق اختيار الإمام عن شورى ورضا ولا يحق لأي إنسان اغتصاب ذلك الحق، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال (كُنتُ أقرئ رجالا من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها إذ رجع إلى عبد الرحمن فقال لو

رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين اليوم فقال يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم. قال عبد الرحمن فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم فإنهم هُم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة فتخلص بأهل الفقه وإشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها على موضعها فقال عمر والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مُقام أقومه بالمدينة قال ابن عباس فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمس ركبتي ركبته فلم أنشب إن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلا قلت لسعيد بن عمرو بن نفيل ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف فأنكر علي وقال ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذن قام فاثني على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فاني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها لا ادري لعلها بين يدي اجلي فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ومن خشي أن يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي ثم انه بلغني قائل منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلانا فلا يغترن أمره أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت إلا وأنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر ومن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه تغرة أن يقتلا وانه قد كان من خبرنا حين توفى اللهُ نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة وخالف عنى علي والزبير ومن معهما واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نريدهم فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرى ما تمالأ عليه القوم فقالا أين تريدون يا معشر المهاجرين فقلنا نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار فقالا لا عليكم إن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم فقلت من هذا فقالوا هذا سعد بن عبادة فقلت ما له قالوا وعك فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وانتم معشر المهاجرين رهط وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلون من أصلنا وان يحضنونا من الأمر فلما سكت أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقاله أعجبتني أن أقدمها بين يدي أبا بكر وكنت إداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر فكان هو احلم مني وأوقر والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت فقال ما ذكرتم فيكم من خير فانتم له أهل ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم احد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا فلم اكره مما قال غيرها كان والله إن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من آثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن أتوسل إلى نفسي عند الموت شيئا لا أجده الآن

فقال قائل من الأنصار أنا ذيلها المحكك وعذيقها المرجب منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش فكثر اللغط وارتعت الأصوات حتى فرقت من الاختلال فقلت ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ونزوتا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة فقلت قتل الله سعد بن عبادة قال عمر وأنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر خشينا أن فارقنا القوم ولم تكن بيعة إن يبايعوا رجلا منهم بعدنا فأما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا). متفق عليه رواه البخاري ومسلم مختصر ولم يسق لفظه

وحين حضرت أبا بكر الوفاة جمع ﷺ الصحابة ﷺ وأفضى إليهم بما يجول في خاطره، قال: (قد حضرتُ من قضاء الله ما ترون، وأنَّهُ لابد لكُم من رجلٍ يلي أمرَكُم ويصلِّي بكم، ويقاتلُ عدوكم، ويقسمُ فيأكم).

فعهد ﷺ إلى عمر أمامهم، فقبلوا رأيه بعد أن خطت خطبته التي وصفه فيها، وخلاصتها: أنه شديد في غير عنف، لَيِّن في غير ضعف، وإذا كان طلحة قد احتج على توليته بقوله لأبي بكر: (تُوَلِّي علينا فظًّا غليظًا، ماذا تقولُ لربِّكَ إذا لقيتَه؟)، فقد حدث أن اعترف بعد ذلك بفضله وقال لعمر: (لقد استقامَت العربُ عليك وفتح اللهُ على يديكَ)، ثم اشترك مع عثمان وعبد الرحمن في طلب العهد من أبي بكر لعمر لأنه أهل لها، ثم إن جُلّ الصحابة ممن حضروا جلسة الشورى قد وافقوا على تولية عمر ﷺ ليكون أميراً للمؤمنين وبعدها بايعت الأمة كلها عمر ولولا بيعة الأمة لعمر واجتماعها عليه لما صحت إمارته.

وبعد أن طعن أبو لؤلؤة المجوسي (عليه من الله ما يستحق) عمر بن الخطاب ﷺ، جعل الشورى في ستة من الصحابة: عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، طلحة بن عبيد الله، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص وجعل عبد الله بن عمر بن الخطاب مرجح ليس له من الأمر شيئاً أي أمر الخلافة، وبعد وفاة عمر اجتمع هؤلاء الرهط ﷺ فخلع عبد الرحمن نفسه، فابتعد عن منافسة الباقين وخضع لمشيئتهم إذا أرادوا تفويض الاختيار له، فقبلوا أن يفعل ذلك. واستشار عبد الرحمن بن عوف كل من كان حاضراً من وجوه المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد الذين حضروا الحج مع عمر قبل وفاته. ثم اجتمع بالرهط الذين عيَّنَهم عمر واحداً فواحد، وبعد مشاورات ومجادلات بينهم انحصر الاختيار في نهاية المطاف بين عثمان وعلي، ثم بعد ذلك استشار أهل المدينة بيتًا بيتًا واستشار النساء والأطفال فوجد أن المسلمين يميلون إلى عثمان ﷺ قال عبد الرحمن موجِهًا الكلام إلى علي بعد استقرار الرأي على عثمان: أما بعد يا علي إني قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلا فبايع علي ابن طالب ﷺ والصحابة والمسلمون بعد الشورى والرضى.. وهذا ما يجب على قيادة الأمة أن تسير عليه وتعمل به، أن تعيد المفهوم الحقيقي للشورى الذي غاب عن الأمة بسبب الملك العضوض ومن ثم الجبري، اسأل الله تعالى أن يبعث لها من يقودها بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وأن يوحد صفها ويجمع كلمتها.

إن أمتنا اليوم رُزِئَتْ بأنواع متعددة من أولئك القادة الذين لا يؤمنون إلا بآرائهم، ولسانُ حالهم يقول: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر:29، فمن هؤلاء حكامًا طغاة علمانيين، ومنهم من ادَّعى تديُّنًا وأوهم بعض المتحمسين من المسلمين بأنه لا يريد من توليه أمر الأمة إلا تطبيق شرع الله ونصر دينه، فنصَّب نفسه وجماعته وكلاء عن الإسلام، وهو منهم براء، ولسنا هنا بصدد ذكر سلبيات أولئك جميعهم ولكن نكتفي بالشورى، فإنها أساس الحكم، وأولئك لم يُلقوا لها بالًا وحَسِبوا أن الله تعالى اختصهم بما لا ولم يختص به أحدًا من العالمين. أما بالنسبة للأولين، الطغاة الحاكمين، فهؤلاء قد مسَخوا شعوبهم واستخفوا بهم أيَّما استخفاف، وأوكلوا لأنفسهم كافة شؤون الدولة بمختلف متطلباتها، لا يراجعهم أحد فيها! وكيف يراجعهم وهم أعلم أهل الأرض في كافة الأمور.. ألا إنهم بحقٍّ أجهلهم! ولكنهم استخدموا القوة والبطش في تثبيت أركانهم وساعدتهم رعيتهم في ذلك، نعم ساعدتهم بذلك التخاذل والضعف والرضوخ تحت تهديد القتل أو التعذيب أو الفقر: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غيري لأَجعَلَنَّكَ من المسجونين﴾ الشعراء:29، وساعدهم سحرة العصر، وهم كُثُرٌ، يخرُجون بأشكالٍ متعددة في كل حين، منها الديني والإعلامي، ومنهم الكُتَّاب والفنانون والوجهاء...الخ، إن أولئك السحرة لهم دور عظيم في إضلال عامة الخلق وجهلائهم وتعبيدهم للحاكم، كما كان قد فعل الساحر في قصة (أصحاب الأخدود) حين حَرَفَ الناس عن عبادة الله تعالى إلى الشرك والضلال.

إن اختيار خليفة للمسلمين لا يكون إلا بشورى ورضى من الأمة، ولا يحق في وقتنا هذا أن يخرج لنا حزب أو جماعة وتنصب خليفة للمسلمين دون أخذ شورى الأمة ورضاها لأن الخليفة مستأمن على إدارة شؤونها، ولا يحق لشخص أو حزب أو قبيلة فرض إمام وتنصيبه على المسلمين دون تلك الشورى؛ فإذا كانت إمامة الصلاة لا بد لها من رِضَى من المصلين بالإمام فمن باب أولى رضى المسلمين بإمامهم وخليفتهم الذي سوف يرعى مصالحهم. ثم إن على ذلك الخليفة أن يكون على قدرِ ثقةِ أمته به؛ فيتبع هدي رسوله ﷺ وسنته وهدي صحابته وسنتهم في الشورى، جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: "وعظنا رسول الله ﷺ موعِظَةً وجلتْ منها القلوبُ وذَرَفَتْ منها العيونُ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظةُ مودعٍ فأوصِنا، قال: "أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة"، ثم قال: "فإنَّه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ"؛ وإن من يحيد عن سُنَّة رسول الله ﷺ تلك وسُنِّة خُلَفائه رضي الله عنهم فليس بإمام أو خليفة وإن سمى نفسه كذلك. وإن الأساس الذي يُبتَدأ به ذلك الاقتداء هو الشورى، وهي لا بُدَّ كائنة رغم ما نشهده من هذا الملك الجبري؛ قال رسول الله ﷺ: "تكون النبوةُ فيكم ما شاءَ اللهُ أن تكون ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعَها ثم تكونُ خلافةً على منهاجِ النبوَّة فتكونُ ما شاء اللهُ أن تكونَ ثم يرفعُها إذا شاء اللهُ أن يرفعَها ثم تكونُ ملكًا عاضًّا فيكونُ ما شاء الله أن يكون ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفعَها ثم تكون ملكًا جبرية فتكون ما شاء اللهُ أن تكون ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعَها ثم تكونَ خلافةً على منهاجِ النبوَّة ثم سكت" (رواه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده حسن). وقد مات رسول الله ﷺ ولم يستخلف أحدًا بعده لكي تختاره

الأمة بنفسها وتجتمع عليه وتقوم بأصول الخطاب المنزل: { وأمرهم شورى بينهم } وليكون ذلك سُنَّةً لمن بعدهم، قالت عائشة (رضي الله عنها): "قُبِضَ رسولُ الله ولم يستخلف أحدًا، ولو كان مستخلفًا أحدًا لاستخلف أبا بكرٍ أو عمر". رواه أحمد في مسنده، وقال شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين

ونستشهد في أيامنا بموقف بطولي لأهل الحل والعقد والشورى من زماننا ما قام به المُلا محمد عمر رحمه الله من جمعِ أكثر من ألف عالم من أهل الحل والعقد والشورى حين طلبت منه أمريكا تسليم الإمام أسامة بن لادن رحمه الله للمخابرات الأمريكية فأشار العلماء بعدم جواز ذلك وأيدهم المُلا محمد عمر ورفض طلب أمريكا فأكرمه الله وصمد وصبر مع إخوانه وشعبه في وجه طغيانها.

إن طغاةَ عَصرِنا يتعاملون مع شعوبهم –أكرمكم الله– كزعيم قطيع الجاموس فهو المتكفل الوحيد بالقيادة وتحديد مصير ذلك القطيع الذي قد يبلغ تعداده بالملايين وإذا نظرت أخي القارئ إلى قطيع الجاموس وقت الهجرة، سترى أن الزعيم يقوم بتحديد النقطة التي منها سوف يتم قطع النهر للضفة المقابلة فيمر كل القطيع من نفس النقطة التي حددها هذا الزعيم فتأتي التماسيح وتقف في تلك النقطة وتبدأ بقتل الكثير من الجاموس الذي يعبر النهر وأكله، ولو نظر قطيع الجاموس بالأمر لغيروا هذه النقطة ليقللوا الخسائر في هذا القطيع ولكنهم أعطوا زعيمهم فقط حق القيادة المطلقة فكانت نهاية الكثير منهم في هذا الموضع، وان جازت لقطعان الجاموس وأمثاله فإنها لا تجوز لشعوب الأمة الإسلامية الرائدة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ التوبة:119

الصدق في اللغة: هو الصدق في القول ماضيًا كان أو مستقبلًا، وعدًا أو غيره، ويكون في الخبر دون غيره من أصناف الكلام.

واصطلاحًا: استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، بألّا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله.

إن الصِّدقَ صِفةُ المؤمن الحق، ولا ريب أن أولى الناس للاتصاف بذلك: القائد؛ لِشدَّة حاجته إليه في ما أقامه الله تعالى فيه؛ وذلك أنه ليس له غِنىً عن توفيق الله تعالى وتأييده طرفة عين، وقد أبت سُنَّةُ الله تعالى الثابتة في خلقه أن يكون تأييده عز وجل

ذاك لكاذب؛ فهذا لن يكون نصيبه إلا الخُذلان ولو بعد حين؛ فلن تجد عملًا مدخولًا بكذب صاحبه قولًا أو فعلًا أو نيةً، مباركًا فيه، ولكن قد يكون لأولئك بعض الجولات وبعض ما وعد الله تعالى عباده الصالحين من نصرٍ و.. و.. و، وإنما لذلك توقيت، لحكمةٍ يعلمها الله تعالى؛ لقد أبَى الله تعالى أن يجعل لغير أهل صدقِه بركةً وتمكينًا، فهؤلاء من يبني عز وجل على جهادهم – وأعمالهم بصورة عامة– أمورًا متعددة المنافع للعباد والبلاد، وقد يجعلها على مدى قرون من الزمن كما قد تعلمنا من سنن الله تعالى الثابتة، لذلك فقد كان القائد أحق الناس للاتصاف بتلك الصفة العظيمة.

إن القائد يحتاج الصدقَ مع رَبِّه أوَّلًا، والصِّدْقُ معه عز وجل غير الإخلاص إليه وإن كان هناك ارتباط وتلازم بينهما، فالصِّدقُ يكون في الطلب والإخلاص في المطلوب؛ قال ابن القيم (رحمه الله تعالى): "والفرق بينه وبين الإخلاص أن للعبد مطلوبا وطلبا، فالإخلاص توحيد مطلوبه، والصدق توحيد طلبه. فالإخلاص ألا يكون المطلوب منقسما، والصدق ألا يكون الطلب منقسما، فالصدق بذل الجهد، والإخلاص إفراد المطلوب"، وبهذا فإن القائدَ يَجبُ أن يبلُغ جهده كله، ويستنفذَ وُسعَهُ فيما عاهَدَ عليه الله تعالى يومًا، فذاك هو الصِّدقُ في الطلب؛ ولا ينبغي أن يَرْكَنَ أو يرتاح تحت أي ذريعة حتى يَبلُغَ أمرَهُ ذاك. هذا بالنسبة لصدقِه مع الله وذاك والله هو أصل التوفيق، وهو مادَّة الأمر، فالعبد إن صَدَقَ مع ربِّه سيصدق مع رعيَّته ..

إن القائدَ يجب أن يكون صادقًا في قوله، أمينًا في نقله، لا يداهن أحدا على حساب الأمة، لا يخشى في الله لومة لائم، يقف واضح الرؤية، واضح المنهج، واضح الراية، واضح السلوك، أخلاقه ومعاملاته تدل على صدقه، يُراعي مصالح الأمة ولو كلفهُ ذلك الكثير من وقته وجهده، لا يُحابيأحدًا، لا يغش الأمة أو يوهمها بمستقبل واعد وهو ساكنٌ لا يسعى لإعدادِ ما يُستَطاع من قوة لإنجاز ما وَعَد؛ إن القائد الحقيقي الذي سيعيد للأمة مجدها وتاريخها لا بد ان يكون بمستوى تطلُّعات الأمة.

إن لصدقِ القائد آثارًا عظيمة في حب رعيته له والتفافهم حوله؛ وكيف لا يكون ذلك وهو الذي لم يكذبهم يومًا أو يُغَرِّر بهم أو يخدعهم، ولا ريب أنَّ تلك الرعية ستكون حاضِنة له، وتكون من وراءِه، لا تُسْلِمُه، أو تَخونُهُ، أو تَخذُلُه، فأما إن كان يُعْرَفُ بالكَذِب، فَهذا سينهار بنيانه في وقت أسرع مما يتوقع وإن توفرت فيه الست خصال السابقة حيث يقول تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ التوبة:109، وإن الصدق يقوي روابط المجتمع ويجعله متماسكًا لا يقوى عليه شيء من أمور الدنيا ولا تستطيع الفتن أن تدخل إليه.

إن الصِّدْقَ سمة قادة البشر إلى الله، أنبياء الله تعالى، وقد كان نبي الهُدى محمد ﷺ يلقب بالصادق الأمين قبل بعثته، فكان قومه عليهم السلام يصدِّقونه في كافَّةِ الأمور رغمَ تكذيبهم لما جاء به، روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : صعد رسول الله ﷺ ذات يوم على الصفا فقال: يا صباحاه ، قال : فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا له: مالك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أن عدواً مُصبحكم

أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا دعوتنا جميعا؟ فأنزل الله – عز وجل– ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب﴾ المسد:1 إلى آخرها (رواه النسائي في سننه) ونحن هنا نستشهد بقول ما قاله قومه حين سألهم ﷺ قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟ فكان جوابهم بما عهدوه عنه ﷺ نعم، أي صدقوه بما قال وهذا ما يجب أن يتحلى به القائد يُصدقه العدو والصديق فالعدو لا يُعهد عنه الكذب وكذلك الصديق فقوله صِدق لا يقبل الشك. فالصدق خلقٌ نبيل من أخلاق النبوة وهو أصلٌ لا يتخلف عن تحقيق التقوى؛ لذلك كان لا بد لكل من يعمل لنصرة دينه أن يتحلى به، ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المائدة:119

لقد كان ﷺ يحث أصحابه رضي الله عنهم على الصدق؛ فعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: قال: ((عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)).

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وصححه واللفظ له

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مؤسسة الراية للإنتاج الإعلامي

الصفات المهمة لقيادة الأمة